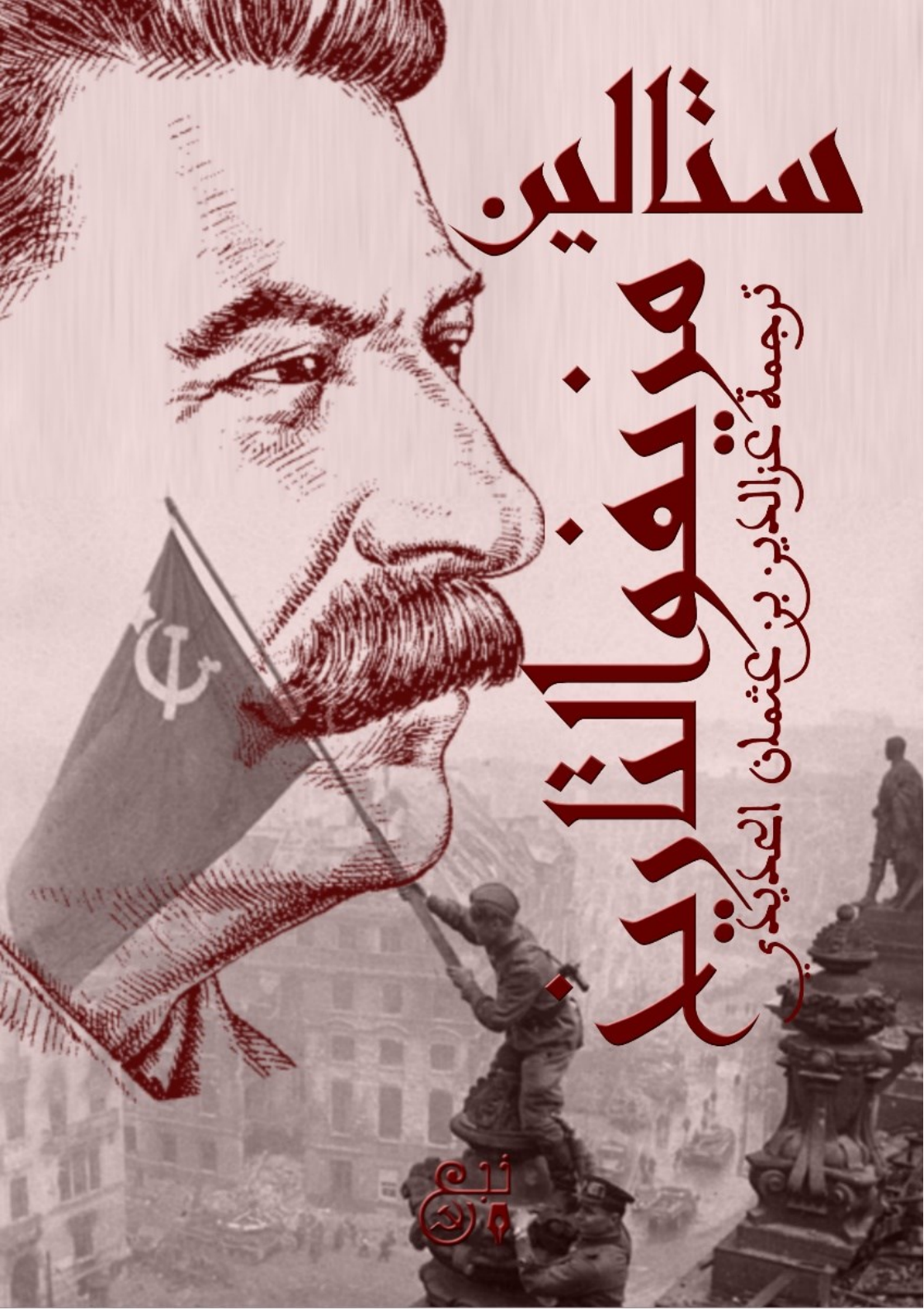

ستالين

مديونو القارة

ترجمة عزالدين بن عثمان العكيكي

يا عمال العالم، اتحدوا

طريق البلشفيّة

موقع أممي للإعلام البلشفي باللسان العربي

ستالين

مزيفو التاريخ

ترجمة عزالدين بن عثمان العديكي

النشر البلشفي العربي

القيروان، أفريل 2021

المذكرة التاريخية لعام 1948 الصادرة عن مكتب
الإعلام السوفيتي لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي
تحت إشراف ج. ستالين وف. مولوتوف

المحتويات

المقدمة 6
لا مقاومة للعدوان الألماني، ولكن سياسة عزل الاتحاد السوفياتي 19
فرض العزلة على الاتحاد السوفيتي. معاهدة عدم الاعتداء السوفييتية-الألمانية 30
الجبهة "الشرقية". العدوان الألماني على الاتحاد السوفيتي. التحالف المناهض للهتلريين. مشكلة الالتزامات فيما بين الحلفاء 46
الهوامش 66

المقدمة

في نهاية شهر كانون الثاني (جانفي)، نشرت وزارة الخارجية الأمريكية، بالتعاون مع وزارتي خارجية إنجلترا وفرنسا، مجموعة من التقارير ومقتطفات مختلفة من مذكرات للموظفين الدبلوماسيين الهتلريين وأعطت هذه المجموعة عنوانا عجيبا "العلاقات السوفيتية النازية خلال الأعوام 1939-1941."

كما يظهر من مقدمة هذه المجموعة المنشورة، اتفقت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا، في صيف عام 1946، على نشر وثائق أرشيف وزارة الخارجية الألمانية للأعوام 1918-1945، التي تم الاستيلاء عليها في ألمانيا من قبل السلطات العسكرية الأمريكية والبريطانية. وتجدر الإشارة إلى أنه في المجموعة المنشورة تم إدراج المواد المتعلقة بالسنوات 1939-1941 فقط، في حين لم يتم تضمين المواد المتعلقة بالسنوات السابقة، ولا سيما بفترة ميونيخ، من قبل وزارة الخارجية الأمريكية. وبالتالي بقيت مجهولة من قبل الرأي العام العالمي. هذا المعطى بالتأكيد ليس عرضيا ويندرج ضمن غايات تتنافى مع طريقة التعامل مع الحقيقة التاريخية بموضوعية وأمانة.

ولتقديم تبرير ما للرأي العام حول نشر هذه المجموعة من مذكرات الموظفين الهتلريين من جانب واحد، والتي لم يتم التحقق منها وتم اختيارها بشكل عشوائي، أطلقت الصحافة الأنجلو أمريكية تفسيرا ملفقا يقول:

"لقد رفض الروس اقتراح الغرب بنشر تقرير شامل مشترك عن الدبلوماسية النازية".

هذا البيان الصادر عن الدوائر الأنجلو أمريكية لا يتوافق مع الواقع.

في الواقع، لقد جرت الأمور على النحو التالي: بالنظر إلى الاتصالات التي ظهرت في الصحافة الأجنبية في صيف عام 1945 بشأن التحضير لنشر الوثائق المأخوذة من ألمانيا في إنجلترا، اتصلت الحكومة السوفيتية بحكومة بريطانيا العظمى وأصرت على أن يشارك الخبراء السوفييت في الفحص المشترك للمواد الألمانية التي استولت عليها القوات الأنجلو أمريكية. إذ اعتبرت الحكومة السوفيتية أنه من غير المقبول

نشر مثل هذه الوثائق دون التشاور معها. وفي الوقت نفسه، لا يمكنها تحمل مسؤولية نشر مثل تلك الوثائق دون إجراء تحقق دقيق، لأنه بدون هذه الشروط الأولية فإن نشر الوثائق المعنية يمكن أن يؤدي إلى تدهور العلاقات بين الدول الأعضاء في التحالف المناهض للهتلرية. لكن وزارة الخارجية البريطانية رفضت الاقتراح السوفيتي زاعمة أن المسألة التي طرحتها الحكومة السوفيتية حول تبادل النسخ المصادرة للوثائق الهتلرية سابق لأوانه.

نعلم أنه في 6 سبتمبر 1945 قدم الوفد الأمريكي إلى المديرية السياسية لمجلس الرقابة بألمانيا مقترح توجيهاته حول كيفية التعامل مع الأرشيفات والوثائق الألمانية. ونص هذا المقترح على إنشاء إجراء واحد لعموم ألمانيا لجمع الأرشيفات وحفظها، وكذلك حق النفاذ إليها لممثلي الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. كما تم التنصيص على إمكانية أخذ نسخ من الوثائق ونشرها. تمت دراسة هذا الاقتراح خلال أربعة اجتماعات للمديرية السياسية. لكن تم تأجيله بناء على طلب البريطانيين والأمريكيين بحجة عدم وجود تعليمات لهم. ثم بعد تصريح المندوب الأمريكي بأن حكومة الولايات المتحدة تعد مقترحا جديدا وطلبت اعتبار المشروع المقدم لاغيا، تم حذف هذا المقترح من جدول أعمال المديرية السياسية.

وهكذا فإن الادعاء بأن الحكومة السوفيتية رفضت المشاركة في التحضير لنشر مواد أرشيفية ألمانية هو ادعاء كاذب.

بالتزامن مع نشر المجموعة من الوثائق المذكورة أعلاه، بدأت في الولايات المتحدة وفي الدول التابعة لها – كما لو أن ذلك بفعل عصا سحرية – موجة جديدة من الهجمات وحملة جامحة من التشهير فيما يتعلق بمعاهدة عدم الاعتداء في عام 1939 بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا، التي زعموا أنها موجهة ضد القوى الغربية.

يتضح من ذلك إن الغرض الحقيقي من نشر في الولايات المتحدة لمجموعة الوثائق المتعلقة بالعلاقات بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا في 1939-40 لم يعد يثير أي شك. الهدف من نشر هذه المجموعة ليس تقديم سرد موضوعي للأحداث التاريخية، ولكن لطمس الصورة الحقيقية للأحداث، وتشويه الاتحاد السوفيتي، وتشويه

سمعته، وإضعاف النفوذ الدولي للاتحاد السوفياتي باعتباره قائدا ديمقراطيا حقا وبحزم في مواجهة القوى العدوانية والمعادية للديمقراطية.

يتوافق هذا الموقف الغادر مع مفهوم العلاقات النموذجية بين الحلفاء بالنسبة للدوائر الحاكمة في البلدان الأنجلو أمريكية. وهو مفهوم يقوم على استبدال العلاقات الصادقة والنزيهة بين الحلفاء، والدعم والثقة المتبادلين، بإتباع سياسة تقوم على استخدام كل الإمكانيات بما في ذلك التشويه، لإضعاف الحليف واستغلال تلك الإمكانيات في مصلحتها الأنانية لتعزيز مكانتها على حسابه.

كما يجب ألا نغفل عن رغبة الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة في تقويض، عبر حملة التشهير ضد الاتحاد السوفيتي، تأثير العناصر التقدمية في بلادها، التي تدعو إلى تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي. لا شك في أن الضربة التي يراد أن تلحق بالعناصر التقدمية في الولايات المتحدة تهدف بالتأكيد إلى إضعاف نفوذها استعدادا للانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة التي ستجرى في خريف 1948.

تحتوي المجموعة المنشورة على عدد كبير من الوثائق المفبركة من قبل الموظفين الدبلوماسيين الهتلريين في متاهة القنصليات الدبلوماسية الألمانية. هذه الحقيقة وحدها يجب أن تحذر من الاستخدام والنشر الأحادي الجانب للوثائق التي تتميز بطابعها الأحادي والمتحيز مستعرضة الأحداث من وجهة نظر الحكومة الهتلرية، بهدف استغلالها عند الضرورة من طرف الهتلريين. ولهذا السبب كانت الحكومة السوفيتية ضد النشر الأحادي الجانب لوثائق ألمانية مأخوذة من العدو قبل التحقق منها مسبقا بشكل مشترك وبطريقة شاملة. حتى وكالة "فرانس براس" الحكومية اضطرت للاعتراف بأن إجراءات نشر المواد التي نشرتها الحكومات الثلاث، دون علم الاتحاد السوفياتي، "لا تتوافق تماما مع الإجراءات الدبلوماسية العادية."

غير أن ذلك لم يكن رأي الحكومة البريطانية. وشرعت الحكومات الفرنسية والبريطانية والأمريكية في النشر من جانب واحد للوثائق الألمانية دون أن تتراجع إزاء تزوير التاريخ ومحاولة تشويه سمعة الاتحاد السوفيتي الذي حمل العبء الرئيسي في محاربة العدوان الهتلري.

وتتحمل هذه الحكومات المسؤولية الكاملة عن نتائج هذا العمل الانفرادي.

وإزاء هذا الوضع، تعتبر الحكومة السوفيتية أن من حقها أن تنشر بدورها الوثائق السرية المتعلقة بالعلاقات بين ألمانيا الهتلرية وحكومات إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة، وهي الوثائق التي وقعت في أيدي الحكومة السوفيتية والتي أخفتها هذه الحكومات عن الرأي العام. لقد أخفوا هذه الوثائق وهم لا يريدون نشرها. لكننا نعتقد أنه بعد ما حدث يجب الإعلان عنها حتى يمكن استعادة الحقيقة التاريخية.
تمتلك الحكومة السوفيتية تحت تصرفها وثائق مهمة استولت عليها القوات السوفيتية أثناء هزيمة ألمانيا الهتلرية، وسيتيح نشر هذه الوثائق إمكانية تقديم بوضوح المسار الحقيقي للإعداد للعدوان الهتلري وتطوره وللحرب العالمية الثانية.
هذا هو الهدف من المذكرة التاريخية "مزيفو التاريخ" التي ينشرها حاليا مكتب الإعلام السوفيتي لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي.
وسيتم إصدار الوثائق السرية المتعلقة بهذه القضية قريبا.
أولا – كيف بدأت الاستعدادات للعدوان الألماني؟
يحاول المزيفون الأمريكيون وشركاؤهم الأنجلو-فرنسيون خلق انطباع بأن الاستعدادات للعدوان الألماني التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية، بدأت في خريف عام 1939.
لكن من، في وقتنا الحاضر، باستثناء الأشخاص الساذجين تماما الذين يرغبون في تصديق أي أخبار مثيرة لا أساس لها، يمكن أن ينطلي عليه ذلك؟ من منا لا يعرف أن ألمانيا بدأت الاستعدادات للحرب بمجرد وصول هتلر إلى السلطة؟ من الذي لا يعرف أيضا أن النظام الهتلري قد أنشأته دوائر احتكارية ألمانية بموافقة كاملة من المعسكر الحاكم في إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة؟
من أجل الاستعداد للحرب وضمان التسلح الحديث، كان على ألمانيا إعادة بناء وتطوير صناعتها الثقيلة، وفي المقام الأول صناعة المعادن والصناعة الحربية في الروهر .Ruhr بعد هزيمتها في الحرب الإمبريالية الأولى، أصبحت ألمانيا تحت نير معاهدة فرساي، ولم تكن لتستطيع القيام بذلك بمفردها في فترة قصيرة من الزمن. وفي هذا الصدد، تمتعت الإمبريالية الألمانية بدعم قوي من الولايات المتحدة الأمريكية.

هل هناك من يجهل أن البنوك والصناديق الائتمانية الأمريكية، التي تعمل بالاتفاق الكامل مع الحكومة، خلال الفترة التي تلت فرساي، استثمرت في الاقتصاد الألماني ومنحت لألمانيا ائتمانات تبلغ مليارات الدولارات، والتي تم استخدامها لترميم وتطوير قدرات صناعة الحرب الألمانية؟

نحن نعلم أن الفترة التي أعقبت فرساي تميزت، فيما يتعلق بألمانيا، بنظام كامل من الإجراءات التي تهدف إلى إعادة بناء صناعتها الثقيلة وخاصة صناعة الحرب الألمانية. كما لعبت "خطة التعويض داوز " Dawes التي وضعت لألمانيا دورا كبيرا في هذا الصدد. عن طريق هذه الخطة، كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تعتزمان وضع الصناعة الألمانية تحت سيطرة الاحتكارات الأمريكية والبريطانية.

مهدت خطة Dawes الطريق لتدفق وتغلغل مكثف لرؤوس الأموال الأجنبية وخاصة الأمريكية في الصناعة الألمانية. نتيجة لذلك، في عام 1925، بدأ انتعاش الاقتصاد الألماني، بسبب عملية نشطة لإعادة تجهيز جهاز الإنتاج. في الوقت نفسه، زادت الصادرات الألمانية بشكل حاد لتصل في عام 1927 إلى مستوى عام 1913، أما بالنسبة للمنتجات المصنعة فقد تجاوز هذا المستوى بنسبة 12٪ (بأسعار 1913). في 6 سنوات، من 1924 إلى 1929، كان تدفق رأس المال الأجنبي إلى ألمانيا يبلغ 10-15 مليار مارك في الاستثمار طويل المدى وأكثر من 6 مليارات في المدى القصير. ووفقا لبعض المصادر، كان حجم الاستثمارات الرأسمالية أكبر بكثير من ذلك. لقد عزز هذا بشكل كبير من الإمكانات الاقتصادية، وعلى وجه الخصوص، القدرات الحربية الألمانية. في هذا الصدد، يعود الدور الغالب إلى استثمارات رأس المال الأمريكي، والتي مثلت ما لا يقل عن 70٪ من إجمالي القروض طويلة المدى.

نحن ندرك جيدا الدور الذي تلعبه الاحتكارات الأمريكية، بقيادة دوبونت ومورجان وروكيفيلر ولامونت وغيرهم من أقطاب الصناعة في الولايات المتحدة، في تمويل الصناعة الثقيلة الألمانية، في إنشاء وتطوير روابط أوثق بين الصناعة الأمريكية والصناعة الألمانية. أصبحت الاحتكارات الأمريكية الأكثر أهمية في ارتباط شديد بالصناعات الثقيلة واتحادات الحرب والبنوك الألمانية. كان الكونسورتيوم الكيميائي

الأمريكي الكبير - Du Pont de Nemours والذي كان أحد أكبر المساهمين في صندوق سيارات جنرال موتورز و"الصناعات الكيميائية الامبراطورية"، - Imperial Chemical Industriesفي علاقات صناعية وثيقة مع اتحاد المواد الكيميائية الألماني I. G. Farben industrie ، حيث أبرموا معه، في عام 1926، اتفاق كارتل بشأن تقسيم الأسواق العالمية لبيع المسحوق. كان رئيس مجلس إدارة دار Röhm & Haas في فيلادلفيا (الولايات المتحدة الأمريكية) قبل الحرب الشريك، الرئيسي لنفس المؤسسة في) Darmstadt ألمانيا.(

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن المدير السابق لهذا الكونسورتيوم، رودولف مولر، نشيط حاليا في المنطقة الثنائية ويلعب دورا مهما في الدوائر القيادية في الاتحاد الديمقراطي المسيحي. وبين عامي 1931 و1939، كان الرأسمالي الألماني شميتز، رئيس اتحاد I. B. Farbenindustrie وعضو مجلس إدارة بنك Deutsche، يسيطر على الشركة الأمريكية General Dyestuffs Corporation.وبعد مؤتمر ميونيخ (1938)، أبرمت American Standard Oil Trustاتفاقية مع I.B. Farbenindustrie حصلت بموجبها الأخيرة على حصة في أرباح بنزين الطائرات المنتج في الولايات المتحدة عن طريق التخلي، في المقابل، عن تصدير البنزين الصناعي من ألمانيا، والتي كانت تجمع مخزونات منه في ذلك الوقت لأغراض الحرب.

هذه العلاقات المميزة، لا تقتصر فحسب على الاحتكارات الرأسمالية الأمريكية. كانت العلاقات الاقتصادية الوثيقة للغاية، وذات الأهمية ليس تجاريا فحسب، بل عسكريا أيضا، موجودة عشية الحرب بين اتحاد الصناعات البريطانية ومجموعة الرايخ الصناعية على سبيل المثال. نشر ممثلو هاتين المجموعتين الاحتكاريتين في دوسلدورف، في عام 1939، إعلانا مشتركا ورد فيه من بين أمور أخرى، أن: "تهدف هذه الاتفاقية إلى ضمان أقصى تعاون ممكن بين الأنظمة الصناعية في بلدانهم" .

كان هذا في الأيام التي اجتاحت فيها ألمانيا الهتلرية تشيكوسلوفاكيا! ولا عجب أن كتبت "الإيكونوميست" ومقرها لندن عن هذا:

"ألا يوجد شيء في جو دوسلدورف يمكن أن يجعل الرجال ذوي الفطرة السليمة يفقدون عقولهم؟] 1" [

بنك شرودر المشهور الذي يهيمن عليه صندوق الصلب الألماني Vereinigte Stahlwerke، الذي أسسهStinnes و Thyssenوغيرهما من أقطاب الصناعة في منطقة الروهر ومقره في نيويورك ولندن، يقدم مثالا، مميزا للتداخل بين الرأسمال الأمريكي والألماني والأنقليزي. لعب آلان دالاس، مدير دور لندن وكولونيا وهامبورغ في مؤسسة Henry G. Schröder المصرفية في نيويورك، والتي تمثل مصالح شرودر في لندن وكولونيا وهامبورغ، دورا رائدا. ولعب مكتب التقاضي الشهير سوليفان وكروميل دورا بارزا في المقر الرئيسي لبنك شرودر بنيويورك. ويرأس جون فوستر دالاس مكتب سوليفان وكروميل، وهو حاليا مستشار السيد مارشال الرئيسي. ترتبط مؤسسته ارتباطا وثيقا بالاتحاد الاحتكاري العالمي Standard Oil of the Rockefellers، كما يرتبط بأقوى بنك في الولايات المتحدة، بنك Chase National Bank، الذي استثمر رؤوس أموال ضخمة في الصناعة الألمانية.

في عام 1947 ظهر كتاب بقلم R.Sasuly في نيويورك أشار إلى أنه بعد فرساي، بمجرد توقف التضخم في ألمانيا وتوطيد العملة، غُمرت ألمانيا فعليا بالقروض الأجنبية. وهكذا، بين عامي 1924 و1930، زاد الدين الخارجي لألمانيا بأكثر من 30 مليار مارك.

تمت إعادة بناء وتحديث الصناعة الألمانية، وخاصة شركة Vereinigte Stahlwerke، بمساعدة رأس المال الأجنبي وخاصة الأمريكي. كما تم منح بعض القروض مباشرة للشركات التي لعبت الدور الرائد في إعادة التسلح] 2.[

لعب أحد أكبر بنوك نيويورك، "ديلون بنك - ريد آند كومباني"، والذي كان وزير الدفاع الحالي فورستال [3] مديرا فيه لعدد من السنوات دورا مهما جدا في تمويل إتحاد الصلب الألمانيVereinigte Stahlwerke ، بالاشتراك مع بنك Schröderالأنجلو-ألماني-أمريكي.

كانت هذه الأمطار من الذهب هي التي خصبت الصناعة الثقيلة لألمانيا الهتلرية، وعلى وجه الخصوص، صناعة الحرب. كانت هذه المليارات من الدولارات الأمريكية، التي استثمرتها الاحتكارات الأطلسية في الاقتصاد الحربي لألمانيا الهتلرية، هي التي أعادت بناء القدرات الحربية الألمانية ومكنت النظام الهتلري من السلاح اللازم للقيام بعدوانه.

في وقت قصير، مستفيدة من الدعم المالي للاحتكارات الأمريكية بشكل رئيسي، أعادت ألمانيا بناء صناعة حرب قوية قادرة على إنتاج أسلحة من الدرجة الأولى، بكميات هائلة، آلاف الدبابات الهجومية والطائرات والمدافع، والسفن الحربية الحديثة وأنواع أخرى من الأسلحة.

هذا ما يود مزورو التاريخ أن يقع نسيانه، الذين يحاولون الهروب من المسؤولية الملقاة على عاتقهم بسبب سياستهم التي سلحت العدوان الهتلري وأطلقت الحرب العالمية الثانية وأدت إلى كارثة عسكرية لم يسبق لها مثيل في التاريخ وكلفت البشرية ملايين الضحايا.

لذلك لا يمكن أن ننسى أن التحضير الأول والأكثر أهمية للعدوان الهتلري كان إعادة بناء وتجديد الصناعة الألمانية الثقيلة والصناعات الحربية، والذي أصبح ممكنا فقط نتيجة للمساعدة المالية المباشرة والودية من الدوائر الحاكمة للولايات المتحدة الأمريكية.

لكن هذا ليس كل شيء.

العامل الحاسم الآخر الذي ساهم في اندلاع العدوان الهتلري كان سياسة الدوائر الحاكمة في إنجلترا وفرنسا، وهي سياسة عُرفت باسم سياسة "استرضاء" ألمانيا الهتلرية، وهي سياسة قائمة على نبذ الأمن الجماعي. في الوقت الحاضر، ينبغي أن يكون واضحا للجميع أن هذه السياسة التي اتبعتها الدوائر الأنجلو-فرنسية الحاكمة، أي سياسة نبذ الأمن الجماعي وعدم مقاومة العدوان الألماني وتشجيع النوايا العدوانية لألمانيا الهتلرية، هي التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية.

دعنا ننتقل إلى الوقائع:

بعد وقت قصير من وصول هتلر إلى السلطة، في أعقاب جهود الحكومتين الإنجليزية والفرنسية في عام 1933، تم التوقيع في روما على "ميثاق التفاهم والتعاون" للقوى الأربع: بريطانيا العظمى وألمانيا وفرنسا وإيطاليا. كان هذا الاتفاق يعني تواطؤا بين الحكومتين الإنجليزية والفرنسية من ناحية، والفاشية الألمانية والإيطالية من ناحية أخرى، التي لم تخفِ حتى في ذلك الوقت أهدافها العدوانية. وفي نفس الوقت، يعني هذا الميثاق الذي أبرم مع الدول الفاشية التخلي عن سياسة تقوية جبهة القوى السلمية ضد الدول العدوانية. لقد وجهت بريطانيا العظمى وفرنسا ضربة للعمل الجاري آنذاك لضمان سلام وأمن الأمم وذلك بالتعامل مع ألمانيا وإيطاليا وترك الدول الأخرى جانبا، – أعضاء مؤتمر نزع السلاح – الذي كان منعقدا، حينها والذي كان يدرس الاقتراح السوفيتي بإبرام ميثاق عدم اعتداء وميثاق لتحديد المعتدي.

بعد ذلك، في عام 1934، ساعدت إنجلترا وفرنسا هتلر في الاستفادة من الموقف العدائي لبولندا – النبلاء، حليفتهم، تجاه الاتحاد السوفيتي مما أدى إلى إبرام ميثاق عدم اعتداء ألماني – بولندي، والذي كان أحد المراحل المهمة في الاستعدادات للعدوان الألماني. لقد احتاج هتلر إلى هذا الميثاق لتعطيل صفوف مؤيدي الأمن الجماعي، وبالتالي إثبات أن أوروبا بحاجة، ليس للأمن الجماعي بل إلى الاتفاقات الثنائية. سمح هذا للمعتدين الألمان بأن يقرروا بأنفسهم مع من ومتى يعقدون اتفاقات، ومن ومتى يهاجمون. ليس هناك شك في أن الميثاق الألماني البولندي شكل أول خرق رئيسي في هيكل الأمن الجماعي.

متشجعا، اتخذ هتلر عددا من الخطوات لإعادة بناء القوات المسلحة الألمانية بشكل علني، والتي لم تواجه أي مقاومة من الحكام الإنجليز والفرنسيين. على العكس من ذلك، بعد فترة وجيزة، في عام 1935، في لندن، وصل رويبنتروب Ribbentrop خصيصا لإبرام اتفاقية بحرية أنجلو-ألمانية، وافقت بمقتضاها بريطانيا العظمى على إعادة بناء القوات البحرية الألمانية بنسبة تجعلها مساوية لأسطول الحرب الفرنسي. حصل هتلر أيضا على الحق في بناء غواصات بحمولة إجمالية قدرها 45 ٪ من أسطول الغواصات البريطاني. في هذه الفترة تم أيضا اتخاذ الإجراءات الأحادية الجانب من طرف ألمانيا الهتلرية والتي تهدف إلى إزالة جميع القيود الأخرى المتعلقة

بزيادة القوات المسلحة لألمانيا، تلك القيود التي وضعتها معاهدة فرساي. وهذه الأعمال والإجراءات لم تثر أي مقاومة من جانب إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة. كانت شهية المعتدين الفاشيين تتزايد يوما بعد يوم، إزاء التسامح الواضح الذي كانت تبديه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا. وبالطبع، لم يكن من قبيل المصادفة أن التدخلات العسكرية لألمانيا وإيطاليا في إثيوبيا وإسبانيا في ذلك الوقت لم تكن بالكاد تسبب لهم أي مشكلة.

وحده الاتحاد السوفياتي انتهج بطريقة حازمة ومتسقة سياسته للسلام، مدافعا عن مبدأ المساواة في الحقوق واستقلال إثيوبيا التي كانت عضوا في عصبة الأمم، وكذلك حق الحكومة الجمهورية الشرعية في إسبانيا لتلقي الدعم من الدول الديمقراطية في حربها ضد التدخل الألماني الإيطالي.

قال مولوتوف، متحدثا عن العدوان الإيطالي على إثيوبيا في جلسة 10 جانفي 1936 للجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفياتي:

"لقد أثبت الاتحاد السوفيتي داخل عصبة الأمم، بمثال إثيوبيا ذلك البلد الصغير، أنه مخلص لهذا المبدأ، مبدأ استقلال جميع الدول ومساواتها في الحقوق كأمم ... كما استغل الاتحاد السوفييتي مشاركته في عصبة الأمم لتطبيق سياسته تجاه المعتدي الإمبريالي] .4" [

وقال مولوتوف آنذاك: "تظهر الحرب الإيطالية الإثيوبية أن خطر نشوب حرب عالمية يتزايد ويلوح في الأفق أكثر فأكثر على أوروبا] .5" [

ماذا كانت تفعل حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا، في تلك الأثناء، عندما قام، أمام أعينهم، قطاع الطرق الفاشيون وبوقاحة متزايدة بقمع ضحاياهم؟ لم يفعلوا شيئا على الإطلاق لإخضاع المعتدين الألمان والإيطاليين وللدفاع عن حقوق الشعوب التي تُداس بالأقدام، ولحماية السلام ووقف التهديد الوشيك للحرب العالمية الثانية.

كان الاتحاد السوفيتي وحده يفعل كل ما في وسعه لسد الطريق أمام المعتدين الفاشيين. كان الاتحاد السوفيتي هو القائد والمبادر بالأمن الجماعي. منذ 6 فيفري 1933، في الهيئة العامة لنزع السلاح، اقترح السيد ليتفينوف Litvinov ممثل

الاتحاد السوفياتي إصدار إعلان يحدد مصطلحي العدوان والمعتدي. كان منطلق الاتحاد السوفياتي هو الحاجة إلى التحديد الدقيق لمصطلح "العدوان" لصالح الأمن العام وتيسير التوصل إلى اتفاق بشأن موضوع الحد الأقصى للتسلح ومن أجل "استبعاد أي ذريعة من شأنها تبرير العدوان". ومع ذلك، رفض المؤتمر بقيادة إنجلترا وفرنسا هذا الاقتراح خدمة للعدوان الألماني.

يعلم الجميع الكفاح العنيد والطويل الذي خاضه الاتحاد السوفياتي ووفده برئاسة السيد ليتفينوف في عصبة الأمم من أجل الحفاظ على الأمن الجماعي وتعزيزه. خلال فترة ما قبل الحرب بأكملها، دافع الوفد السوفيتي لدى عصبة الأمم عن مبدأ الأمن الجماعي ورفع صوته لصالح هذا المبدأ في جميع الاجتماعات تقريبا وفي جميع لجان عصبة الأمم تقريبا.

لكن، كما نعلم، بقي صوت الاتحاد السوفيتي صوتا صارخا في الصحراء. الجميع على دراية بمقترحات الوفد السوفياتي فيما يتعلق بالإجراءات التي يجب اتخاذها لتعزيز الأمن الجماعي، تلك المقترحات الموجهة وفقا لتعليمات الحكومة السوفيتية إلى السيد أفينول الأمين العام لعصبة الأمم بتاريخ 30 أوت 1936 مع طلب فحصها داخل عصبة الأمم. لكننا نعلم أيضا أن هذه المقترحات دفنت في أرشيفات عصبة الأمم ولم يتم اتخاذ أي إجراء بشأنها.

كان من الواضح أن إنجلترا وفرنسا، اللتين لعبتا في ذلك الوقت الدور القيادي في عصبة الأمم، تخلتا عن المقاومة الجماعية للعدوان الألماني. لقد تخلوا عن سياسة الأمن الجماعي لأنها منعتهم من متابعة سياستهم الجديدة المتمثلة في "استرضاء" العدوان الألماني، سياسة التنازلات لعدوان هتلر. بطبيعة الحال، فإن مثل هذه السياسة لن تؤدي إلا إلى تقوية العدوان الألماني، لكن الأوساط الأنجلو-فرنسية الحاكمة اعتقدت أن هذا ليس خطيرا لأنه من خلال إرضاء المعتدين الألمان ومن خلال التنازلات في الغرب، يمكن توجيه العدوان لاحقا إلى جهة الشرق وجعل منه سلاحا موجها ضد الاتحاد السوفييتي.

في التقرير المقدم خلال المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في مارس 1939، قال ج. ستالين، موضحا أسباب اشتداد العدوان الهتلري:

"السبب الرئيسي هو أن غالبية الدول غير المعتدية، وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا، تخلت عن سياسة الأمن الجماعي وسياسة المقاومة الجماعية للمعتدين، وتبنت موقف عدم التدخل، وموقف الحياد] .6" [

من أجل إرباك القارئ، وفي نفس الوقت تشويه سمعة الحكومة السوفيتية، يؤكد مراسل الولايات المتحدة نيل ستانفورد أن الحكومة السوفيتية عارضت الأمن الجماعي. وأن السيد ليتفينوف قد أقيل من منصبه كمفوض الشعب للشؤون الخارجية وحل محله ف. مولوتوف لأنه اتبع سياسة تهدف إلى تعزيز الأمن الجماعي. من الصعب تخيل أمرا أكثر سخافة من هذا التصريح الخيالي. إذ من البديهي أن السيد ليتفينوف لم يكن ينتهج سياسته الشخصية بل سياسة الحكومة السوفيتية، ومن ناحية أخرى، فإن النضال الذي خاضته هذه الحكومة وممثلوها، بمن فيهم السيد ليتفينوف، من أجل الأمن الجماعي طوال فترة ما قبل الحرب معروف في العالم أجمع.

أما بالنسبة لتعيين ف. مولوتوف في منصب مفوض الشعب للشؤون الخارجية، فمن الواضح أنه في ظرف معقد وفي وقت كان المعتدون الفاشيون يستعدون للحرب العالمية الثانية وبريطانيا العظمى وفرنسا ومن خلفهم الولايات المتحدة يسمحون لهم بفعل ذلك بشكل مباشر ويشجعونهم في خططهم الحربية ضد الاتحاد السوفيتي، كان من الضروري أن يكون في منصب مسؤول مثل منصب مفوض الشعب للشؤون الخارجية، رجل دولة أكثر خبرة ويتمتع بشعبية أكبر في البلاد من السيد ليتفينوف.

ليس من قبيل المصادفة أن القوى الغربية تخلت عن ميثاق الأمن الجماعي. خلال تلك الفترة، بدأ صراع بين خطين متبعين في السياسة الدولية. أحدهما كان يتمثل في النضال من أجل السلام، ومن أجل تنظيم الأمن الجماعي ومقاومة العدوان من خلال الجهود الموحدة للشعوب المسالمة. كان هذا الخط السياسي هو خط الاتحاد

السوفياتي الذي دافع بثبات وحزم عن مصالح جميع الشعوب المسالمة، كبيرها وصغيرها. وكان الخط الآخر يقوم على نبذ تنظيم الأمن الجماعي ومقاومة العدوان، الأمر الذي شجع بالضرورة الدول الفاشية على تصعيد أعمالها العدوانية وبالتالي الإسهام في اندلاع حرب جديدة.

كل هذا يدل على أن الحقيقة التاريخية هي أن عدوان هتلر أصبح ممكنا. أولا، لأن الولايات المتحدة الأمريكية ساعدت الألمان في وقت قصير على إنشاء قاعدة اقتصادية وعسكرية للعدوان الألماني، وبالتالي زودتهم بالسلاح للقيام بهذا العدوان، وثانيا، لأن تنازل الدوائر الأنجلو-فرنسية الحاكمة عن الأمن الجماعي أدى إلى تشويش صفوف الدول المسالمة، وفصل الجبهة الموحدة لهذه الدول في وجه العدوان، ومهد الطريق للعدوان الألماني، وساعد هتلر على بدء الحرب العالمية الثانية.

ماذا كان سيحدث لو لم تمول الولايات المتحدة الصناعة الثقيلة لألمانيا الهتلرية ولو لم تتخلى إنجلترا وفرنسا عن الأمن الجماعي، ونظمتا على العكس من ذلك وبشكل مشترك مع الاتحاد السوفيتي الرد الجماعي على العدوان الألماني؟

كان العدوان الألماني سيحرم من الأسلحة الكافية. ولكانت سياسة الغزو الهتلرية قد وقعت في كماشة نظام الأمن الجماعي. ولكانت فرص الهتلريين في بدء حرب عالمية ثانية بنجاح قد تقلصت إلى الحد الأدنى. وحتى لو تجرأ الهتلريون، على الرغم من هذه الظروف غير المواتية، على بدء حرب عالمية ثانية، لكانوا قد هُزموا منذ السنة الأولى للحرب.

لسوء الحظ، لم يكن هذا هو الحال، وكان ذلك بسبب السياسات الكارثية للولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا وفرنسا خلال فترة ما قبل الحرب.

هذا ما جعل الهتلريين يتمكنون من شن، ليس دون نجاح، الحرب العالمية الثانية التي استمرت قرابة ست سنوات وأودت بحياة ملايين الضحايا.

لا مقاومة للعدوان الألماني، ولكن سياسة عزل الاتحاد السوفياتي

يُظهر تسلسل الأحداث اللاحق بشكل أوضح أن الدوائر الحاكمة في إنجلترا وفرنسا لم تقم سوى بتشجيع ألمانيا ودفعها على طريق الغزو من خلال منح الامتيازات والتنازلات للدول الفاشية التي تجمعت معا في عام 1936 في كتلة عسكرية وسياسية معروفة. باسم "محور برلين-روما."

رافضة لسياسة الأمن الجماعي، تبنت إنجلترا وفرنسا موقف ما يسمى بعدم التدخل، والذي قال عنه جوزيف ستالين:

"يمكن وصف سياسة عدم التدخل على النحو التالي: "أن تدافع كل دولة عن نفسها ضد المعتدين كما تشاء وبقدر ما تستطيع، فهذا ليس من شأننا. سنقوم بالتجارة مع المعتدين وكذلك ضحاياهم ". لكن في الواقع، كانت سياسة عدم التدخل تعني تشجيع العدوان وإطلاق العنان للحرب وبالتالي تحويلها إلى حرب عالمية."7

وأضاف ستالين أن:

"اللعبة السياسية الواسعة والخطيرة التي بدأها أنصار سياسة عدم التدخل يمكن أن تنتهي بفشل ذريع بالنسبة لهم." 8

بحلول عام 1937، كان من الواضح تماما أننا نتجه إلى حرب كبرى بهندسة هتلر، الذي استغل ما سمحت له بريطانيا وفرنسا بفعله.

تكشف وثائق وزارة الخارجية الألمانية التي استولت عليها القوات السوفيتية بعد هزيمة ألمانيا، الطبيعة الحقيقية للسياسة الخارجية لبريطانيا وفرنسا خلال هذه الفترة. تُظهر هذه الوثائق أن جوهر السياسة الأنجلو-فرنسية لم يكن توحيد قوى الدول المسالمة في كفاح مشترك ضد العدوان، ولكن عزل الاتحاد السوفيتي وتوجيه العدوان الهتلري شرقا ضد الاتحاد السوفيتي، وجعل هتلر أداة لأهدافهم.

وبذلك، كان حكام إنجلترا وفرنسا على دراية تامة بالتوجه الرئيسي للسياسة الخارجية الهتلرية التي حددها هتلر على النحو التالي:

"نحن الاشتراكيون القوميون نضع حدا عن قصد لتوجه سياستنا الخارجية لفترة ما قبل الحرب. سنبدأ من حيث توقفنا قبل ستة قرون. سنتخلى عن الرغبة الدائمة في التوسع إلى جنوب وغرب أوروبا، وسنوجه أنظارنا إلى أراضي الشرق. لقد بدأنا أخيرا في الابتعاد عن السياسة الاستعمارية والتجارية لما قبل الحرب والانتقال إلى سياسة إلحاق الأراضي المستقبلية. لكن عندما نتحدث اليوم في أوروبا عن أراضٍ جديدة، لا يسعنا إلا أن نفكر في المقام الأول في روسيا والدول المجاورة التابعة لها. يبدو أن القدر نفسه يوضح لنا الطريق." 9

حتى وقت قريب، كان الاعتقاد السائد عموما أن المسؤولية الكاملة عن سياسة الخيانة في ميونيخ تقع على عاتق الدوائر الحاكمة في إنجلترا وفرنسا، أي حكومتي تشامبرلين ودالاديبه. وبالتالي فإن حقيقة تعهد الحكومة الأمريكية بنشر وثائق الأرشيفات الألمانية مع استبعاد تلك المتعلقة باتفاقية ميونيخ من المجموعة المنشورة، تظهر أن هذه الحكومة حريصة على تبرئة أبطال خيانة ميونيخ وتحاول إلقاء الخطأ على الاتحاد السوفيتي.

في الماضي القريب أيضا، كان جوهر سياسة ميونيخ لإنجلترا وفرنسا واضحا بدرجة كافية. ومع ذلك، فإن الوثائق من أرشيف وزارة الخارجية الألمانية والموجودة في أيدي الحكومة السوفيتية توفر قدرا كبيرا من المعلومات الإضافية التي تكشف المعنى الحقيقي لدبلوماسية القوى الغربية في فترة ما قبل الحرب. لقد أظهرت تلك الوثائق كيف يتم اللعب بأقدار الأمم، وبأية وقاحة يتصرفون في أراضي الآخرين، وكيف يتم سرا إعادة رسم خريطة العالم، وكيف وقع تشجيع العدوان الهتلري، وأية جهود بُذلت لتوجيه هذا العدوان نحو الشرق، ضد الاتحاد السوفيتي.

يتضح هذا ببلاغة، على سبيل المثال، من خلال الوثيقة الألمانية التي تحتوي على نص المقابلة التي جرت في 19 نوفمبر 1937، في أوبيرسالزبرج، بين هتلر والوزير الإنجليزي هاليفاكس بحضور وزير الخارجية الألماني فون نيورات.

قال هاليفاكس:

"أنا [اللورد هاليفاكس] والأعضاء الآخرون في الحكومة الإنجليزية مقتنعين بأن الفوهرر قد حقق نتائج عظيمة ليس فقط في ألمانيا، ولكن من خلال تدمير

الشيوعية في بلاده وقطع طريقها نحو أوروبا الغربية. وأنه لهذا السبب يمكن أن تعتبر ألمانيا بحق معقل الغرب ضد البلشفية." 10

ونيابة عن رئيس الوزراء البريطاني تشامبرلين، أعلن هاليفاكس أن هناك الإمكانية الكاملة لحل المشكلات الصعبة، بشرط أن تنجح ألمانيا وإنجلترا في التوصل إلى تفاهم مع فرنسا وإيطاليا أيضا.

قال هاليفاكس:

"لا يجب أن يسود الانطباع بأن "محور برلين - روما" أو العلاقات الجيدة بين لندن وباريس ستتضرر من التقارب الألماني البريطاني. إذ بمجرد أن تصبح الأرضية جاهزة بفضل التقارب الألماني البريطاني، سيتعين على القوى العظمى الأربع في أوروبا الغربية (11) أن تخلق بشكل مشترك الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه سلام دائم في أوروبا. لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن تظل أي من القوى الأربع على هامش هذا التعاون. بخلاف ذلك، لا يمكننا إنهاء حالة عدم الاستقرار الحالية." 12

وهكذا، في وقت مبكر من عام 1937، نيابة عن الحكومة الإنجليزية، اقترح هاليفاكس على هتلر انضمام إنجلترا وفي نفس الوقت فرنسا، إلى "محور برلين - روما."

لكن هتلر رد على هذا الاقتراح بإعلانه أن مثل هذا الاتفاق بين القوى الأربع يبدو سهلا للغاية طالما كان الأمر يتعلق بحسن نية متبادلة ولياقة، لكن الأمور ستصبح أكثر تعقيدا إذا لم تصبح ألمانيا "دولة لم تعد تتحمل وصمة العار المعنوية أو المادية لمعاهدة فرساي."

جاء وفقا لنص المقابلة المذكورة:

"رد هاليفاكس بأن الإنجليز واقعيين، وربما أكثر من أي كان هم مقتنعون بضرورة تصحيح أخطاء فرساي. في الماضي أيضا، مارست إنجلترا دائما نفوذها في هذا الاتجاه الواقعي.

وأشار هاليفاكس إلى الدور الذي لعبته إنجلترا في الإخلاء المبكر لرنانيا Rhénanie، وفي تسوية مسألة التعويضات، وفي إعادة احتلال رنانيا. " 13

يُظهر ما تبقى من نص المقابلة بين هتلر وهاليفاكس أن الحكومة الإنجليزية تبنت موقفا إيجابيا تجاه خطط هتلر "للاستحواذ" على دانزيج Dantzig والنمسا وتشيكوسلوفاكيا. وبعد أن ناقش مع هتلر مسائل نزع السلاح وعصبة الأمم وإشارته إلى أن هذه القضايا بحاجة إلى مزيد من المناقشة، صرح هاليفاكس:

"يمكن القول بأن جميع المسائل الأخرى تتعلق بالتغييرات في النظام الأوروبي وأنها ستتم على الأرجح عاجلا أم آجلا. وتشمل هذه القضايا دانزيغ Dantzig والنمسا وتشيكوسلوفاكيا. تهتم إنجلترا بشيء واحد فقط: أن يتم إجراء هذه التغييرات من خلال التطور السلمي بحيث يمكننا تجنب الأساليب التي من المحتمل أن تؤدي إلى مزيد من الاضطرابات التي لا يرغب فيها الفوهرر ولا الدول الأخرى." 14

كما نرى: هذه المقابلة لم تكن مجرد جس نبض أو طريقة لاختبار المحاور الآخر، والتي تكون في بعض الأحيان ضرورة سياسية، لكنها تواطؤ واتفاق سري بين الحكومة الإنجليزية وهتلر، من أجل إشباع شهية هذا الأخير في الغزو على حساب دول الغير.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى البيان الذي أدلى به الوزير الإنجليزي سيمون في البرلمان في 21 فيفري 1938، والذي قال فيه إن بريطانيا لم تقدم أبدا أي ضمانات خاصة فيما يتعلق باستقلال النمسا. وبالطبع، كانت هذه كذبة واضحة، لأن مثل تلك الضمانات كانت موجودة في معاهدتي فرساي وسان جرمان.

في نفس تلك الفترة، أعلن رئيس الوزراء البريطاني تشامبرلين أن النمسا لا يمكنها الاعتماد على أي دفاع من عصبة الأمم.

قال تشامبرلين: "يجب ألا نحاول تضليل أنفسنا، ومن باب أولى وأحرى، يجب ألا نضلل الدول الصغيرة والضعيفة بجعلها تأمل في أن تدافع عنها عصبة الأمم ضد العدوان وبأننا سنتصرف وفقا لذلك، لأننا نعلم أنه لا شيء من ذلك يمكن فعله"15 تلك هي الطريقة التي شجع بها قادة السياسة البريطانية هتلر على القيام بأعمال عدوانية.

تحتوي الأرشيفات الألمانية التي استولت عليها القوات السوفيتية في برلين أيضا على نص مقابلة بين هتلر والسفير البريطاني في ألمانيا، هندرسون، والتي جرت في

حضور ريبنتروب في 3 مارس 1938 (16). منذ بداية هذه المقابلة، أكد هندرسون طبيعتها السرية من خلال اشتراط عدم نقل مضمون المقابلة إلى الفرنسيين أو البلجيكيين أو البرتغاليين أو الإيطاليين، الذين سيقتصر إعلامهم بأن هذه المقابلة تلت محادثات هاليفاكس - هتلر وأنها كانت مخصصة للمسائل المتعلقة بألمانيا وإنجلترا.

خلال هذه المقابلة، متحدثا نيابة عن الحكومة الإنجليزية، أكد هندرسون أن:

"هذه ليست صفقة تجارية، بل محاولة لوضع أسس صداقة حقيقية وودية مع ألمانيا، بالبدء بتحسين الوضع والانتهاء بخلق روح جديدة من التفاهم الودي. 17"

لم يعترض هندرسون على طلب هتلر "توحيد أوروبا بدون روسيا"، ذكر بأن هاليفاكس، الذي كان آنذاك وزيرا للخارجية، كان قد قبل بالفعل التغييرات الإقليمية التي كانت ألمانيا تستعد لإجرائها في أوروبا. وأن: "الهدف من الاقتراح الإنجليزي هو المشاركة في هذه التسوية المعقولة."

وفي نفس النص المشار إليه صرح هندرسون:

"على الرغم من كل شيء، أظهر [تشامبرلين] شجاعة كبيرة عندما مزق القناع عن العبارات الدولية مثل الأمن الجماعي، إلخ"...

"ولهذا السبب - أضاف هندرسون - تعلن إنجلترا عن استعدادها لتذليل أي صعوبات وتطلب من ألمانيا ما إذا كانت مستعدة بدورها لفعل الشيء نفسه. 19 "

وعندما انضم ريبنتروب إلى المحادثة بإشارته إلى هندرسون أن الوزير الإنجليزي في فيينا قد أدلى ببيان "بشكل دراماتيكي" لفون بابن بشأن الأحداث في النمسا، سارع هندرسون بالنأي بنفسه عن تصريح زميله قائلا أنه هو نفسه، نيفيل هندرسون، "كثيرا ما تحدث مناصرا سياسة الضم."

تلك كانت اللغة التي استخدمتها الدبلوماسية الإنجليزية في فترة ما قبل الحرب.

بعد هذا التفاهم، في 12 مارس 1938، استولى هتلر على النمسا دون أن يواجه أي مقاومة من إنجلترا وفرنسا. كان الاتحاد السوفياتي وحده في ذلك الوقت يدق ناقوس الخطر ويطلق دعوة جديدة لتنظيم الدفاع الجماعي عن استقلال البلدان

المهددة بالعدوان. في وقت مبكر من 17 مارس 1938، وجهت الحكومة السوفيتية مذكرة إلى القوى الكبرى معلنة عن:

"استعدادها للتعامل مع القوى الأخرى، في عصبة الأمم أو على هامشها، لفحص التدابير العملية التي من شأنها وقف تطور العدوان وإزالة الخطر الذي أصبح أكثر إلحاحا المتمثل في حرب عالمية جديدة." 20

أظهر رد الحكومة البريطانية على المذكرة السوفيتية أن الحكومة المذكورة لا تريد إحباط خطط العدوان الهتلري تلك. قيل في ذلك الرد:

"إن عقد مؤتمر لاتخاذ إجراءات منسقة ضد العدوان لن يكون بالضرورة، في رأي حكومة جلالة الملك، ذو تأثير إيجابي على آفاق السلام الأوروبي." 21

كان احتلال ألمانيا لتشيكوسلوفاكيا الحلقة التالية في سلسلة العدوان الألماني والاستعدادات للحرب في أوروبا. وهذه الخطوة البالغة الأهمية نحو اندلاع الحرب في أوروبا لم يكن ممكنا أن يتخذها هتلر إلا بدعم مباشر من إنجلترا وفرنسا.

منذ 10 يوليو 1938، أبلغ السفير الألماني في لندن، ديركسن، برلين أن:

"الحكومة البريطانية جعلت من البحث عن حل وسط مع ألمانيا أحد النقاط الرئيسية في برنامجها".

وأضاف: "تُظهر الحكومة المذكورة لألمانيا أقصى قدر من التفهم يمكن أن تظهره أي من الفرق المحتملة للسياسة الإنجليزية." 22

وكتب ديركسن:

"لقد اقتربت الحكومة البريطانية من فهم أهم النقاط الأساسية للمطالب الجوهرية لألمانيا فيما يتعلق بإقصاء الاتحاد السوفيتي من أي تسوية تتعلق بمصير أوروبا، واستبعاد كذلك عصبة الأمم، وأهمية المفاوضات والمعاهدات الثنائية."23

كما أشار ديركسن لبرلين أن الحكومة البريطانية مستعدة لتقديم تضحيات كبيرة "لتلبية مطالب ألمانيا العادلة الأخرى."

ونتيجة لذلك، تم التوصل بالفعل إلى تفاهم بعيد المدى بشأن خطط السياسة الخارجية بين الحكومة البريطانية وهتلر، وهو ما أكده ديركسن بقوة كبيرة في تقريره إلى برلين.

ليست هناك أي حاجة لتكرار الوقائع الثابتة المتعلقة مباشرة بصفقة ميونيخ. ومع ذلك، لا ينبغي أن ننسى أنه في 19 سبتمبر 1938، أي بعد أربعة أيام من مقابلة هتلر وتشامبرلين) سافر الأخير بالطائرة إلى مقر إقامة هتلر في بيرشتسجادن Berchtesgadenلهذا الغرض(، طلب ممثلو الحكومتين البريطانية والفرنسية من الحكومة التشيكوسلوفاكية أن تنقل إلى ألمانيا مناطق تشيكوسلوفاكيا التي يسكنها بشكل رئيسي الألمان السوديت .Sudètes وأعلنوا، من أجل تبرير هذا المطلب، أنه بدون ذلك سيكون من المستحيل الحفاظ على السلام وضمان المصالح الحيوية لتشيكوسلوفاكيا.

حاول هؤلاء الحماة الأنجلو-فرنسيون للعدوان الهتلري التستر على خيانتهم بوعد بضمان دولي للحدود الجديدة لدولة تشيكوسلوفاكيا "كمساهمة في أعمال التهدئة في أوروبا."

في 20 سبتمبر ردت الحكومة التشيكوسلوفاكية على المقترحات الأنجلو-فرنسية قائلة:

"إن إعتماد مثل هذه المقترحات سيكون بمثابة تشويه متعمد وكامل للدولة من جميع النواحي" .

لفتت حكومة تشيكوسلوفاكيا انتباه حكومتي إنجلترا وفرنسا إلى أن:

"شلل تشيكوسلوفاكيا سيؤدي إلى تغييرات سياسية عميقة في جميع أنحاء وسط وجنوب شرق أوروبا" .

وأعلنت الحكومة التشيكوسلوفاكية في ردها ما يلي:

"ميزان القوى في وسط أوروبا وأوروبا بشكل عام سوف ينهار، مع عواقب وخيمة لجميع الدول الأخرى، وخاصة بالنسبة لفرنسا" .

ووجهت الحكومة التشيكوسلوفاكية "نداء أخيرا" إلى حكومتي إنجلترا وفرنسا، طالبة منهما إعادة النظر في وجهة نظرهما وشددت على أن ذلك ليس لمصلحة تشيكوسلوفاكيا فحسب، بل لمصلحة أصدقائها أيضا ولمصلحة "قضية السلام والتنمية الطبيعية لأوروبا برمتها."

لم يتزحزح الحكام الأنجلو-فرنسيون.

في اليوم التالي، وجهت الحكومة البريطانية ردها إلى الحكومة التشيكوسلوفاكية. في هذه المذكرة، اقترحت عليها أن تسحب ردها على المقترحات الأصلية الأنجلو-فرنسية وأن "تزن بشكل عاجل وجاد" الإيجابيات والسلبيات قبل أن تخلق وضعا لا تستطيع الحكومة البريطانية تحمل مسؤوليته. وفي الختام، شددت الحكومة البريطانية على أنها لا تعتقد أن خطة التحكيم التشيكوسلوفاكية مقبولة في الوقت الحاضر. أشارت المذكرة الإنجليزية إلى ما يلي:

"لا يمكن للحكومة البريطانية أن تفترض أن الحكومة الألمانية ستعتبر الوضع قابلا للحل عن طريق التحكيم على النحو الذي اقترحته الحكومة التشيكوسلوفاكية" .

وفي الختام، حذرت المذكرة الإنجليزية الحكومة التشيكوسلوفاكية وأعلنت بنبرة تهديد أنه في حالة رفض المشورة التي قدمتها إنجلترا، فإن حكومة تشيكوسلوفاكيا "ينبغي أن تكون حرة في اللجوء إلى أي إجراء تراه صالحا وفقا للحالة التي قد توجد لاحقا."

كان مؤتمر ميونيخ الذي انعقد في 29-30 سبتمبر 1938 بين هتلر وتشامبرلين وموسوليني ودالاديي تتويجا للصفقة المخزية والمنسقة بالكامل بصفة مسبقة بين المشاركين الرئيسيين في المؤامرة ضد السلام. تم تحديد مصير تشيكوسلوفاكيا دون أن تشارك في أي من الإجراءات. تمت دعوة ممثلي تشيكوسلوفاكيا إلى ميونيخ فقط لينتظروا بتواضع ذليل نتائج التفاهم بين الإمبرياليين.

ما من شك في أن كامل موقف إنجلترا وفرنسا قد أظهر أن عمل الخيانة غير المسبوق الذي ارتكبته الحكومتان الإنجليزية والفرنسية تجاه الشعب التشيكوسلوفاكي وجمهوريته لم يكن بأي حال من الأحوال حدثا عرضيا في سياسة هذه الدول، ولكنه عنصر مهم في سياسة كانت تهدف إلى توجيه العدوان الهتلري ضد الاتحاد السوفيتي.

قام جوزيف ستالين في تلك الفترة بالتنديد بالمعنى الحقيقي لاتفاق ميونيخ:

"لقد تم تسليم مناطق من تشيكوسلوفاكيا إلى الألمان كثمن لالتزامهم بشن الحرب ضد الاتحاد السوفيتي." 26

إن جوهر كامل سياسة الأوساط الحاكمة الأنجلو-فرنسية في تلك الفترة، تم كشفه بالكلمات التالية التي ألقاها جوزيف ستالين في المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي البلشفي للاتحاد السوفيتي في مارس 1939:

"إن سياسة عدم التدخل تعني تشجيع العدوان وإطلاق الحرب وبالتالي تحويلها إلى حرب عالمية. إن سياسة عدم التدخل تعكس الإرادة والرغبة في عدم التعرض للمعتدين في تحقيق عملهم الأسود، في عدم منع بالخصوص اليابان من التوغل في حرب ضد الصين وضد الاتحاد السوفيتي، في عدم منع ألمانيا من التورط في الشؤون الأوروبية ومن الوقوع في فخ الحرب مع الاتحاد السوفيتي، وفي السماح لكل المتحاربين بالانغماس حتى العنق في مستنقع الحرب وتشجيعهم على ذلك بخبث، وفي جعلهم يضعفون وينهكون بعضهم بعض. ثم بعد أن يصبحوا ضعفاء بما يكفي، يتم الظهور على الساحة بقوى نضرة والتدخل طبعا "لمصلحة السلم" وفرض الشروط على المتحاربين المنهكين" 27

قوبلت اتفاقية ميونيخ بسخط وانتقاد شديد في الأوساط الديمقراطية في مختلف البلدان، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا. يمكننا الحكم على موقف هذه الأوساط الديمقراطية تجاه خيانة الحكام الأنجلو-فرنسيين في ميونيخ من خلال تعليقات مثل تلك التي نجدها، على سبيل المثال، في الكتاب المنشور في الولايات المتحدة من طرف M. Sayers و Kahnتحت عنوان المؤامرة الكبرى ضد روسيا.

إليكم ما كتبه مؤلفو هذا الكتاب عن ميونيخ:

"وقعت حكومات ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وإنجلترا وفرنسا اتفاقية ميونيخ. لقد تحقق أخيرا حلم "التحالف المقدس" المناهض للسوفيات الذي كانت ترعاه الرجعية العالمية منذ 1918. ترك هذا الاتفاق روسيا بدون حلفاء. تم دفن الميثاق الفرنسي السوفياتي، وهو حجر الزاوية للأمن الجماعي في أوروبا. أصبحت جمهورية سوديتنلاند التشيكية جزءا من ألمانيا النازية. لقد فتحت البوابات الشرقية على مصراعيها أمام جحافل الهتلر." 28

من بين جميع القوى العظمى، كان الاتحاد السوفيتي هو الوحيد الذي قام بدور نشيط في جميع مراحل المأساة التشيكوسلوفاكية، دفاعا عن استقلال تشيكوسلوفاكيا وحقوقها الوطنية. وفي محاولاتهم لتبرير أنفسهم في نظر الرأي العام، أعلنت حكومتا إنجلترا وفرنسا بشكل منافق أنهما تجهلان ما إذا كان الاتحاد السوفييتي سوف يفي بالتزاماته بموجب المعاهدة تجاه تشيكوسلوفاكيا أم لا. وهكذا كانوا يؤكدون شيئا كانوا يعلمون أنه زائف، لأن الحكومة السوفيتية أعلنت علنا أنها مستعدة للتدخل لصالح تشيكوسلوفاكيا ضد ألمانيا وفقا لبنود تلك المعاهدة التي نصت أيضا على تدخل فرنسا المتزامن للدفاع عن تشيكوسلوفاكيا. لكن فرنسا رفضت أداء واجبها.

ومع ذلك، أعلنت الحكومة السوفيتية مرة أخرى، عشية صفقة ميونيخ، الدعوة إلى عقد مؤتمر دولي من أجل تقديم المساعدة العملية لتشيكوسلوفاكيا واتخاذ خطوات عملية للحفاظ على السلام.

عندما أصبح احتلال تشيكوسلوفاكيا حقيقة وأعلنت حكومات الدول الإمبريالية، واحدة تلو الأخرى، أنها اعترفت بالأمر الواقع، قامت الحكومة السوفيتية، في مذكرتها المؤرخة في 18 مارس، بالتنديد باحتلال تشيكوسلوفاكيا الذي ارتكبته ألمانيا الهتلرية بتواطؤ إنجلترا وفرنسا، بوصفه تعسفا وعنفا وعدوانا. وفي المذكرة نفسها، أشارت الحكومة السوفيتية إلى أن أفعال ألمانيا:

"خلقت وعززت التهديد للسلام العالمي، وزعزعت الاستقرار السياسي لأوروبا الوسطى، وضاعفت عناصر حالة الإنذار الموجودة بالفعل في أوروبا وشكلت تقويضا إضافيا للشعور بالأمن لدى الشعوب. ")29)

لكنهم لم يكتفوا بتسليم تشيكوسلوفاكيا لهتلر. بل تسابقت حكومتا إنجلترا وفرنسا لتوقيع اتفاقيات سياسية واسعة مع ألمانيا الهتلرية. ففي 30 سبتمبر 1938، تم التوقيع في ميونيخ، من قبل تشامبرلين وهتلر، على إعلان أنجلو-ألماني قيل فيه:

"اليوم واصلنا مناقشتنا وتوصلنا بالإجماع إلى قناعة بأن مسألة العلاقات الألمانية الإنجليزية ذات أهمية قصوى لكلا البلدين ولأوروبا. نعتبر الاتفاقية الموقعة الليلة الماضية، وكذلك الاتفاقية البحرية الألمانية البريطانية كرمز لرغبة شعبينا في عدم

خوض الحرب مرة أخرى. نحن مصممون أيضا بشدة على النظر في الأمور الأخرى التي تهم بلدينا من خلال المشاورات، والسعي لاستبعاد أي أسباب للنزاع في المستقبل من أجل المساعدة في تأمين السلام في أوروبا." 30

لقد كان ذلك إعلان عدم اعتداء متبادل من جانب إنجلترا وألمانيا.

وفي 6 ديسمبر 1938، تم التوقيع على إعلان فرنسي ألماني بين Bonnet-Ribbentrop، مشابه للإعلان الأنجلو-ألماني.

وذكر أن الحكومتين الألمانية والفرنسية توصلتا إلى الاقتناع بأن العلاقات السلمية وحسن الجوار بين ألمانيا وفرنسا تشكل أحد الركائز الأساسية لتوطيد العلاقات الأوروبية والحفاظ على السلام العالمي وأن الحكومتين ستبذلان قصارى جهدهما من أجل ضمان الحفاظ على هذه العلاقات بين بلدانهم. وأشار الإعلان إلى أنه لم تعد هناك أي قضايا إقليمية مثيرة للجدل بين فرنسا وألمانيا وأن الحدود بين البلدين نهائية. وفي الختام، قال الإعلان إن الحكومتين عازمتان بشدة، دون المساس بحقهما في علاقات خاصة مع قوى أخرى، على البقاء على اتصال متبادل بشأن جميع المسائل المتعلقة ببلديهما والتشاور مع بعضهما البعض في حالة ما إذا أدت تلك المسائل في تطورها إلى تعقيدات دولية.

لقد كان ذلك، إعلان عدم اعتداء متبادل من جانب فرنسا وألمانيا.

في الأساس، كان إبرام هذه الاتفاقيات يعني أن إنجلترا وفرنسا قد وقعتا معاهدات عدم اعتداء مع هتلر.

يمكننا أن نرى بكل وضوح في هذه الاتفاقيات مع ألمانيا الهتلرية، رغبة الحكومتين الإنجليزية والفرنسية في درء تهديد العدوان الهتلري عنهما، على اعتبار أن اتفاقية ميونيخ وغيرها من الاتفاقيات المماثلة قد فتحت الأبواب بالفعل أمام العدوان الهتلري في الشرق في اتجاه الاتحاد السوفيتي.

هكذا تم خلق الظروف السياسية الضرورية لـ "اتحاد أوروبا بدون روسيا."

نتجه إلى عزل الاتحاد السوفيتي تماما.

فرض العزلة على الاتحاد السوفيتي. معاهدة عدم الاعتداء السوفييتية-الألمانية

بعد احتلال تشيكوسلوفاكيا، بدأت ألمانيا الفاشية في الاستعداد للحرب بشكل علني أمام أعين العالم بأسره. لم يعد هتلر يكترث، بعد التشجيع الذي حظي به من إنجلترا وفرنسا، وتوقف عن التظاهر بأنه مؤيد للتسوية السلمية للمشكلات الأوروبية. كانت الأشهر الأكثر دراماتيكية لفترة ما قبل الحرب قد بدأت. في ذلك الوقت، كان من الواضح أنه مع مرور كل يوم، كانت البشرية تقترب من كارثة عسكرية غير مسبوقة.

فماذا كانت آنذاك سياسة الاتحاد السوفيتي من جهة، وسياسة بريطانيا العظمى وفرنسا من جهة أخرى؟

إن محاولة التهرب من الإجابة على هذا السؤال، التي قام بها مزورو التاريخ في الولايات المتحدة، تظهر فقط أن ضميرهم غير مرتاح.

الحقيقة هي أن إنجلترا وفرنسا، بدعم من الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة، في تلك الفترة المصيرية من ربيع وصيف عام 1939، عندما دقت الحرب الباب، لا زالتا تتبعان الخط القديم لسياستهما. كانت سياسة استفزاز تدفع ألمانيا الهتلرية ضد الاتحاد السوفيتي. ولتمويه الأمور، كانوا يحجبون هذه السياسة ليس فقط بعبارات منافقة من قبيل إعلان الاستعداد للتعاون مع الاتحاد السوفيتي، ولكن أيضا من خلال بعض المناورات الدبلوماسية المكشوفة بغرض إخفاء الطابع الحقيقي لسياستهم عن رأي الشعوب.

تمثلت هذه المناورات في المقام الأول في محادثات عام 1939، التي قررت إنجلترا وفرنسا الانخراط فيها مع الاتحاد السوفيتي. من أجل خداع الرأي العام، حاولت الدوائر الأنجلو-فرنسية الحاكمة تقديم المحادثات على أنها محاولة جادة لمنع تقدم العدوان الهتلري. ولكن، في ضوء كامل مجرى الأحداث اللاحق، صار من الواضح

تماما أن هذه المحادثات، بالنسبة للأنجلو-فرنسيين، كانت، منذ البداية، مجرد حركة جديدة في لعبتهم المزدوجة.
كان هذا واضحا أيضا لقادة ألمانيا الهتلرية الذين لم يكن معنى المحادثات التي بدأتها حكومتا إنجلترا وفرنسا مع الاتحاد السوفيتي سرا بالطبع. إليكم، على سبيل المثال، ما كتبه ديركسن، السفير الألماني في لندن، حول هذا الموضوع في تقريره بتاريخ 3 أوت 1939 والموجه إلى وزارة الخارجية الألمانية كما يتضح من الوثائق التي استولى عليها الجيش السوفيتي أثناء هزيمة ألمانيا هتلر:
"ساد الانطباع هنا بأن الروابط التي أقيمت في الأشهر الأخيرة مع الدول الأخرى ليست سوى وسيلة احتياطية من أجل المصالحة الحقيقية مع ألمانيا وأن هذه الروابط ستختفي بمجرد أن نحقق الهدف الوحيد المهم الذي يستحق الجهد: الاتفاق مع ألمانيا".
يشترك جميع الدبلوماسيين الألمان الذين راقبوا الوضع في لندن مع هذا الرأي تماما.
في تقرير سري آخر أرسل إلى برلين، كتب ديركسن:
"من خلال تسلحها واكتساب الحلفاء، تريد إنجلترا زيادة قوتها والارتقاء إلى مستوى قوة المحور. في الوقت نفسه، تريد السعي للتوصل إلى اتفاق مع ألمانيا من خلال المفاوضات) ".31(
إن مشوهي ومزيفي التاريخ يودون إخفاء هذه الوثائق لأنها تلقي ضوءا مبهرا على الوضع الذي كان سائدا في الأشهر الأخيرة من فترة ما قبل الحرب. لكن، من دون التقدير الصحيح لهذا الوضع، من المستحيل فهم ما قبل تاريخ الحرب الحقيقي. فمن خلال الدخول في محادثات مع الاتحاد السوفيتي ومنح ضمانات لبولندا ورومانيا وبعض الدول الأخرى، كانت إنجلترا وفرنسا، بدعم من الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة، تلعب لعبة مزدوجة بهدف إبرام اتفاق مع ألمانيا الهتلرية لتوجيه عدوانها نحو الشرق ضد الاتحاد السوفيتي.
بدأت المفاوضات بين إنجلترا وفرنسا، من ناحية، والاتحاد السوفيتي من ناحية أخرى، في مارس 1939 واستمرت قرابة 4 أشهر.

لقد أظهر كل سير هذه المحادثات أنه في حين أراد الاتحاد السوفيتي التوصل إلى اتفاق على قدم المساواة مع القوى الغربية، اتفاقية يمكن أن تمنع ألمانيا، ولو في اللحظة الأخيرة، من شن حرب في أوروبا – كانت لحكومتا إنجلترا وفرنسا، مستندتين على دعم الولايات المتحدة، أهدافا أخرى تماما. فقد حاولت الدوائر الحاكمة الأنجلو-فرنسية، التي اعتادت على جعل الآخرين يسحبون عنها الكستناء من النار، فرض التزامات على الاتحاد السوفيتي يتحمل هذا الأخير العبء الأكبر من التضحيات التي ستكون ثمنا لرد العدوان الهتلري المحتمل. بينما لا تتعهد إنجلترا ولا فرنسا بأي التزام تجاه الاتحاد السوفيتي.

لو نجحت تلك المناورة للحكام الأنجلو-فرنسيين، لكانوا اقتربوا جدا من تحقيق هدفهم الرئيسي، وهو دفع ألمانيا والاتحاد السوفيتي ضد بعضهما البعض في أقرب وقت ممكن. غير أن الحكومة السوفيتية كانت قد تفطنت لهذا المخطط أو عارضت في جميع مراحل المفاوضات المناورات الدبلوماسية ومراوغات القوى الغربية بمقترحاتها الصريحة والواضحة والتي كان هدفها الوحيد هو الدفاع عن قضية السلام في أوروبا.

ليست هناك حاجة لذكر كل حيثيات هذه المحادثات. من الضروري فقط تذكر مراحل معينة مهمة بشكل خاص. يكفي أن نتذكر الشروط التي صاغتها الحكومة السوفيتية أثناء المفاوضات: التوقيع بين إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي على معاهدة فعالة للمساعدة المتبادلة ضد العدوان ؛ تقديم ضمان من إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي إلى دول وسط وشرق أوروبا، بما في ذلك جميع الدول الأوروبية، دون استثناء، المحاذية للاتحاد السوفيتي. ؛ توقيع اتفاقية عسكرية ملموسة بين إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفياتي بشأن أشكال ونسب المساعدة الفورية والفعالة التي يمكن أن تقدمها هذه السلطات لبعضها البعض وكذلك للدول المستفيدة من الضمان في حالة العدوان) .32(

في الدورة الثالثة لمجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في 31 ماي 1939 أشار ف. مولوتوف إلى أن مبدأ المعاملة بالمثل الأولي والمساواة في الالتزامات، وهما عنصران ضروريان لأي اتفاقات تبرم على أساس المساواة،

كانا غائبين في بعض المقترحات الأنجلو-فرنسية التي تمت صياغتها خلال هذه المفاوضات.

قال ف. مولوتوف: "في حين يؤمنون أنفسهم ضد الهجوم المباشر من قبل المعتدين باتفاقيات المساعدة المتبادلة فيما بينهم ومع بولندا، ويطلبون مساعدة الاتحاد السوفياتي في حالة هجوم من قبل المعتدين على بولندا ورومانيا، أبقى الإنجليز والفرنسيون المسألة معلقة بخصوص ما إذا أمكن للاتحاد السوفيتي بدوره الاعتماد على المساعدة منهم في حالة تعرضه لهجوم مباشر من قبل المعتدين. وبالمثل، فقد تركوا المسألة معلقة بخصوص ما إذا كان بإمكانهم المشاركة في ضمان الدول الصغيرة المتاخمة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية ضد العدوان وتغطية حدوده الشمالية الغربية في حالة عجز تلك الدول عن الدفاع عن حيادها ضد هجوم المعتدين. لذلك كان الوضع يتضمن عدم مساواة بالنسبة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية) ."33(

حتى عندما بدأ الممثلون الأنجلو-فرنسيون يقبلون بالكلمات مبدأ المساعدة المتبادلة بين إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتي، من باب المعاملة بالمثل، في حالة هجوم مباشر من قبل المعتدين، فقد أبدوا عددا من التحفظات جعلت من مثل هذه الاتفاق اتفاقا وهميا.

بالإضافة إلى ذلك، تضمنت المقترحات الأنجلو-فرنسية تقديم المساعدة من الاتحاد السوفياتي للبلدان التي قدم لها الإنجليز والفرنسيون وعود ضمان، دون أن تذكر شيئا عن مساعدة الانجليز والفرنسيين للبلدان الواقعة على الحدود الشمالية الغربية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، أي لدول البلطيق، في حال كان هؤلاء ضحايا لهجوم من المعتدي.

وعلى أساس الاعتبارات المبينة أعلاه، أعلن ف. مولوتوف أن الاتحاد السوفيتي لا يمكنه تحمل التزامات تجاه دول معينة دون أن تمنح ضمانات مماثلة للدول الواقعة على الحدود الشمالية الغربية للاتحاد السوفيتي.

لنتذكر من ناحية أخرى كيف سأل سفير بريطانيا لدى موسكو، سيدسSeeds ، في 18 مارس 1939، مفوض الشعب للشؤون الخارجية عن موقف الاتحاد

السوفيتي في حال اعتداء هتلر على رومانيا، وقد كان البريطانيون على علم بالتحضير لذلك العدوان، لكن لما سأله الجانب السوفيتي عن موقف إنجلترا من هذا الاحتمال، تهرب مشيرا إلى أنه "من وجهة نظر جغرافية، رومانيا أقرب إلى الاتحاد السوفيتي منها إلى إنجلترا.!"

وهكذا، فمنذ الخطوة الأولى، اتضحت رغبة الدوائر الحاكمة الإنجليزية في إلزام الاتحاد السوفييتي بالتزامات محددة مع استثناء أنفسهم. ثم تكررت هذه العملية، الساذجة بالأحرى، بشكل منهجي مرارا وتكرارا خلال مسار المحادثات.

وردا على الطلب البريطاني، اقترحت الحكومة السوفيتية عقد مؤتمر لممثلي الدول المعنية أكثر من غيرها، ولا سيما بريطانيا العظمى وفرنسا ورومانيا وبولندا وتركيا والاتحاد السوفيتي. وحسب وجهة نظر الحكومة السوفيتية فإن هذا المؤتمر كان سيوفر حظوظا أكبر لتوضيح الوضع الحقيقي وتحديد مواقف جميع المشاركين فيه. لكن الحكومة البريطانية ردت بأنها تعتبر الاقتراح السوفيتي سابق لأوانه.

وبدلا من عقد مؤتمر كان من شأنه أن يجعل من الممكن الاتفاق على موضوع التدابير الملموسة لمكافحة العدوان، اقترحت الحكومة الإنجليزية على الحكومة السوفيتية، في 21 مارس 1939، التوقيع معها بالاشتراك مع فرنسا وبولندا، على إعلان تلتزم فيه الحكومات الموقعة "بالتشاور مع بعضها البعض بشأن الإجراءات التي يجب اتخاذها بهدف مقاومة مشتركة" في حالة "تهديد استقلال أي دولة."

وأصر السفير البريطاني، في سعيه لإثبات وجاهة اقتراحه، بشكل خاص على فكرة أن الإعلان تمت صياغته بعبارات غير ملزمة بدرجة كبيرة!

كان من الواضح أن هذا البيان لا يمكن أن يسهم بشكل جدي في مكافحة تهديد وشيك من جانب المعتدي. ومع ذلك، ومفترضة أن هذا الإعلان، على الرغم من الأمل الضئيل الذي يقدمه، قد يمثل خطوة معينة إلى الأمام في كبح جماح المعتدي، وافقت الحكومة السوفيتية على تبني الاقتراح البريطاني. ولكن بحلول 1 أفريل 1939، أبلغ السفير البريطاني في موسكو أن إنجلترا تعتبر مسألة الإعلان المشترك قد وقع التخلي عنها.

بعد أسبوعين آخرين من المماطلة، قدم وزير الخارجية الإنجليزي هاليفاكس للحكومة السوفيتية، من خلال السفير البريطاني في موسكو، اقتراحا جديدا يتمثل في أن تصدر الحكومة السوفيتية إعلانا بموجبه:

"في حالة وقوع عمل عدواني ضد أي دولة أوروبية مجاورة للاتحاد السوفيتي وتبدي تلك الدولة مقاومة، يمكن الاعتماد على مساعدة الحكومة السوفيتية، إذا كانت هذه المساعدة مرغوب فيها".

كان المعنى الرئيسي لهذا الاقتراح هو أنه في حالة قيام ألمانيا بعمل عدواني ضد لاتفيا، ليتوانيا، إستونيا وفنلندا، فإن الاتحاد السوفيتي يكون ملزما بمنحهم المساعدة دون أي التزام من جانب إنجلترا بمنحهم المساعدة من جانبها. وهذا يعني دخول الاتحاد السوفييتي في حرب بمفرده مع ألمانيا. أما بالنسبة لبولندا ورومانيا، اللتين كانت إنجلترا قد أعطت ضمانها لهما، فقد كان الاتحاد السوفييتي مجبرا في هذه الحالة أيضا على أن يساعدهما ضد المعتدي. ولكن حتى في هذه الحالة، لم ترغب إنجلترا في تحمل أي التزام، مهما كان، محتفظة بيديها طليقة وبمجال حر لأي مناورة، ناهيك عن أنه، وفقا لهذا الاقتراح، فإن بولندا ورومانيا، وكذلك دول البلطيق، لم تقدم أي التزامات تجاه الاتحاد السوفيتي.

ومع ذلك، لم ترغب الحكومة السوفيتية في تفويت أي إمكانية للتوصل إلى اتفاق مع القوى الأخرى بشأن النضال المشترك ضد العدوان الهتلري. فقدمت للحكومة البريطانية، دون تأخير، اقتراحا مضادا.

كان هذا الاقتراح على النحو التالي: أولا، يتفق الاتحاد السوفيتي وإنجلترا وفرنسا بشكل متبادل على تقديم المساعدة الفورية لبعضهم البعض، بما في ذلك المساعدة العسكرية، في حالة تعرض أي من هذه الدول للاعتداء ؛ ثانيا، تعهد الاتحاد السوفيتي وإنجلترا وفرنسا بتقديم كل المساعدات، بما في ذلك المساعدة العسكرية، إلى دول أوروبا الشرقية الواقعة بين بحر البلطيق والبحر الأسود والمتاخمة للاتحاد السوفيتي في حالة العدوان على هذه الدول ؛ ثالثا، يتعهد الاتحاد السوفيتي وإنجلترا وفرنسا بتحديد نسب وأشكال المساعدة العسكرية في غضون مهلة قصيرة، ستمنح لكل من هذه الدول في الحالتين المذكورتين أعلاه.

كانت هذه أهم نقاط الاقتراح السوفيتي. ليس من الصعب رؤية الاختلاف الجذري الذي كان قائما بين الاقتراحين السوفيتي والبريطاني، باعتبار أن الاقتراح السوفييتي احتوى في حد ذاته على إجراءات فعالة فعلا من أجل المقاومة المشتركة للعدوان. خلال ثلاثة أسابيع، لم يتم تقديم أي رد على هذا الاقتراح من قبل الحكومة البريطانية. حتى أن هذا الصمت تسبب في قلق متزايد في إنجلترا نفسها، لدرجة أن الحكومة الإنجليزية اضطرت في النهاية إلى اللجوء إلى مناورة جديدة لخداع الرأي العام.

ففي 8 ماي، وصل الرد الإنجليزي إلى موسكو؛ سيكون من الأصح قول المقترحات الإنجليزية المضادة؛ اقتُرح مرة أخرى على الحكومة السوفياتية إصدار إعلان من جانب واحد، حيث:

"سيتعهد الاتحاد السوفيتي، في حالة دخول بريطانيا العظمى أو فرنسا في العمليات العسكرية تنفيذا للالتزامات التي قطعتها [تجاه بلجيكا وبولندا ورومانيا واليونان وتركيا] بمساعدتها على الفور إذا ثبت أن تلك المساعدة مرغوب فيها، على أن يتم ضبط طبيعة هذه المساعدة والظروف التي ستتم فيها بموجب اتفاقية" .

ومرة أخرى، في هذا الاقتراح، كان الأمر يتعلق بالتزامات أحادية الجانب على عاتق الاتحاد السوفيتي. إذ عليه أن يلتزم بمساعدة إنجلترا وفرنسا، اللتين لم تلتزما بدورهما تجاه الاتحاد السوفيتي فيما يتعلق بجمهوريات البلطيق. بهذه الطريقة، اقترحت إنجلترا وضع الاتحاد السوفيتي في حالة عدم مساواة غير مقبولة وغير جديرة بأية دولة مستقلة.

من السهل أن نفهم أن الاقتراح الإنجليزي، كان في الواقع موجها إلى برلين أكثر منه إلى موسكو. فهم يدعون الألمان لمهاجمة الاتحاد السوفيتي وفي نفس الوقت يقع إفهامهم أن إنجلترا وفرنسا ستظلان محايدتين، بشرط أن يقع العدوان الألماني عبر دول البلطيق.

في 11 ماي، نشأ تعقيد آخر في المحادثات بين الاتحاد السوفيتي وإنجلترا وفرنسا بعد تصريح السفير البولندي في موسكو، غريزبوفسكي، الذي أفاد بأن:

"بولندا لا ترى أنه من الممكن إبرام ميثاق مساعدة متبادلة مع الاتحاد السوفيتي" .

وغني عن البيان أن هذا التصريح الذي أدلى به الممثل البولندي لا يمكن أن يتم إلا بمعرفة وموافقة الدوائر الحاكمة في إنجلترا وفرنسا.

كان سلوك الممثلين البريطانيين والفرنسيين في محادثات موسكو استفزازيا بشكل واضح لدرجة أنه حتى في المعسكر الحاكم للقوى الغربية كان هناك أشخاص ينتقدون بشدة مثل هذه اللعبة الفظة. في صيف عام 1939، على سبيل المثال، نشر لويد جورج مقالا لاذعا في جريدة Ce Soir الفرنسية هاجم فيه قادة السياسة الإنجليزية. ومتحدثا عن أسباب المماطلة اللامتناهية التي انزلقت فيها المحادثات بين إنجلترا وفرنسا من ناحية والاتحاد السوفيتي من ناحية أخرى، كتب لويد جورج أنه لا يمكن أن يكون هناك سوى إجابة واحدة على هذا السؤال:

"إن نيفيل تشامبرلين، هاليفاكس وجون سيمون لا يريدون أي اتفاق مع روسيا" .

وغني عن البيان أن ما كان واضحا بالنسبة إلى لويد جورج لم يكن أقل وضوحا لقادة ألمانيا الهتلرية، الذين كانوا مدركين تماما أن القوى الغربية لم تكن تفكر في أي اتفاق جاد مع الاتحاد السوفيتي، بل كانت تسعى لتحقيق هدف مختلف تماما. كان هذا الهدف هو حمل هتلر على مهاجمة الاتحاد السوفيتي في أسرع وقت ممكن، بأن يضمنوا له، إذا جاز القول، جائزة على هذا العدوان، حيث سيتم وضع الاتحاد السوفيتي في أسوأ الظروف في حالة الحرب مع ألمانيا.

بالإضافة إلى ذلك، قامت القوى الغربية بإطالة المحادثات مع الاتحاد السوفيتي إلى أجل غير مسمى، في محاولة لإغراق القضايا الجوهرية في مستنقع التعديلات الصغيرة والتغييرات التي لا حصر لها. كلما طُرحت مسألة حول أي التزامات حقيقية، إلا وتظاهر ممثلو هذه القوى بعدم الفهم.

ومع نهاية شهر مايو، تقدمت إنجلترا وفرنسا بمقترحات جديدة تضمنت تحسينا إلى حد ما للعرض السابق، لكنها، مع ذلك، تركت السؤال، المهم بشكل أساسي للاتحاد السوفيتي، بشأن الضمان لجمهوريات البلطيق الثلاث الواقعة على حدوده الشمالية الغربية معلقا دون حل.

وهكذا، ورغم موافقة حكام إنجلترا وفرنسا على بعض التنازلات اللفظية، تحت ضغط الرأي العام في بلدانهم، واصل هؤلاء الحكام بعناد إتباع خطهم الأول من خلال إحاطة مقترحاتهم بالتحفظات التي تجعلها غير مقبولة للاتحاد السوفيتي.
أصبح سلوك الممثلين الأنجلو-فرنسيين خلال المحادثات في موسكو غير محتمل لدرجة أن مولوتوف وجد نفسه مضطرا، في 27 ماي 1939، للتصريح للسفير الإنجليزي Seeds وللقائم بالأعمال الفرنسي Payart بأن مسودة الاتفاقية التي قدموها حول موضوع المقاومة المشتركة للمعتدي في أوروبا لم تنص على أي خطة لتنظيم مساعدة متبادلة فعالة، وأن تلك المسودة لا تدل على أن الحكومتين الإنجليزية والفرنسية تُظهر اهتماما جادا لإبرام مثل تلك الاتفاقية مع الاتحاد السوفيتي. في الوقت نفسه، تم التأكيد بشكل مباشر على أن الاقتراح الأنجلو-فرنسي يوحي بأن حكومتي إنجلترا وفرنسا كانتا أكثر حرصا على المحادثات المتعلقة بالاتفاقية من الاهتمام بالاتفاقية نفسها. ربما كانت هذه المحادثات ضرورية لإنجلترا وفرنسا لأغراض معينة، لكن هذه الأهداف مجهولة للحكومة السوفيتية. وهذه الأخيرة ليست مهتمة بالحديث عن الاتفاقية، ولكن بتنظيم مساعدة متبادلة فعالة بين الاتحاد السوفيتي وإنجلترا وفرنسا ضد العدوان في أوروبا. وقد تم تحذير الممثلين الأنجلو-فرنسيين من أن الحكومة السوفييتية لا تنوي المشاركة في محادثات حول اتفاقية مجهولة الأهداف للاتحاد السوفيتي، وأن الحكومتين الإنجليزية والفرنسية يمكنهما إجراء هذه المحادثات مع شركاء يسايرونهم في لعبتهم أكثر من الاتحاد السوفيتي.
استمرت محادثات موسكو إلى ما لا نهاية. وقد تم الكشف عن أسباب هذا التأخير غير المقبول من قبل صحيفة The Times of London التي كتبت:
"إن التحالف السريع والحازم مع روسيا قد يمنع إجراء مزيد من المحادثات) ". 34(
من خلال حديثها عن "محادثات أخرى"، كانت التايمز تشير بلا شك للمفاوضات بين روبرت هدسون، وزير التجارة الخارجية مع الدكتور هيلموت فولتات Hellmut Wohltat، المستشار الاقتصادي لهتلر، حول امكانية الحصول على قرض بريطاني كبير جدا لألمانيا الهتلرية، والذي سنتحدث عنه لاحقا.

بالإضافة إلى ذلك، كما نعلم، في اليوم الذي دخل فيه الجيش الهتلري إلى براغ، كان وفد من اتحاد الصناعة الإنجليزية يتفاوض في دوسلدورف، وفقا لتقارير صحفية، على إبرام اتفاق واسع النطاق مع الصناعة الكبيرة الألمانية.

ما لفت الانتباه أيضا هو حقيقة أنه تم تكليف شخصيات من الدرجة الثانية لقيادة المحادثات نيابة عن بريطانيا في موسكو، بينما سافر تشامبرلين نفسه من إنجلترا إلى ألمانيا، في أكثر من مرة للتفاوض مع هتلر.

من المهم أيضا ملاحظة أن المندوب للتفاوض مع الاتحاد السوفيتي البريطاني سترانج Strang، لم يكن مزودا بصلاحية توقيع أي اتفاقية على الإطلاق مع الاتحاد السوفيتي.

كما دعا اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية حكومتا إنجلترا وفرنسا إلى إجراء محادثات ملموسة بشأن تدابير عسكرية للتصدي لمعتد محتمل، وكان عليهما الموافقة على إرسال وفودهم العسكرية إلى موسكو. لكن هذا استغرق وقتا أطول من اللازم للوصول إلى موسكو. وعندما وصلوا، اتضح أنهم مؤلفون من شخصيات ثانوية ولم تكن لديهم، علاوة على ذلك، سلطات التوقيع على أي اتفاق على الإطلاق. في ظل هذه الظروف، اتضح أن المحادثات العسكرية غير مثمرة أيضا مثل المفاوضات السياسية.

أظهرت الوفود العسكرية للقوى الغربية منذ البداية أنها غير راغبة في مناقشة وسائل المساعدة المتبادلة بجدية في حالة العدوان الألماني. استند الوفد العسكري السوفيتي إلى حقيقة أنه إذا اندلعت الحرب، فإن الاتحاد السوفيتي الذي لا يملك حدودا مشتركة مع ألمانيا، يمكن أن يساعد إنجلترا وفرنسا وبولندا فقط إذا سمح للقوات السوفيتية بعبور الأراضي البولندية. لكن الحكومة البولندية أعلنت أنها لا تقبل المساعدة العسكرية من الاتحاد السوفيتي، مما دل على أنها تخشى تقوية الاتحاد السوفيتي أكثر من العدوان الهتلري. وقد أيدت البعثتان الإنجليزية والفرنسية موقف بولندا هذا.

في سياق المحادثات العسكرية، وقع طرح مسألة حجم القوات المسلحة التي سيكون على المشاركين في الاتفاقية نشرها في الميدان على الفور في حالة وقوع

عدوان. فكان أن عرض البريطانيون رقما ضئيلا، معلنين أنه بإمكانهم نشر 5 فرق مشاة وفرقة آلية واحدة. اقترح البريطانيون ذلك رغم إعلان الاتحاد السوفيتي عن استعداده لأن يرسل إلى الجبهة ضد المعتدي 136 فرقة و5000 مدفع متوسط وثقيل وحوالي 10000 دبابة وتانكيت وأكثر من 5000 طائرة مقاتلة ... إلخ. يبين ذلك مدى جدية موقف الحكومة البريطانية تجاه المحادثات بشأن إبرام اتفاقية عسكرية مع الاتحاد السوفيتي.

إن البيانات المذكورة أعلاه كافية لتأكيد الاستنتاج الذي يتبادر إلى الذهن بشكل طبيعي. إليكم هذا الاستنتاج:

- 1سعت الحكومة السوفياتية طوال فترة المفاوضات، بصبر غير عادي، لتأمين تفاهم مع إنجلترا وفرنسا بشأن موضوع المساعدة المتبادلة ضد المعتدي على أساس المساواة وبشرط أن تكون هذه المساعدة فعالة بالفعل، أي أن إبرام المعاهدة السياسية يكون مرفوقا بتوقيع اتفاقية عسكرية تحدد نسب وأشكال وآجال المساعدة. ذلك أن مجريات الأحداث السابقة قد أظهرت بطريقة واضحة بما فيه الكفاية أن مثل هذه الاتفاقية وحدها يمكن أن تكون فعالة وقادرة على ردع المعتدي الهتلري، الذي ترعرع عبر سنوات طويلة من الإفلات التام من العقاب وسياسة عدم التدخل من القوى الغربية.

.2إن سلوك إنجلترا وفرنسا أثناء المحادثات مع الاتحاد السوفيتي أكد تماما أنهما لم يفكرا مجرد التفكير في اتفاق جاد معه لأن السياسة الإنجليزية والفرنسية تسعى إلى أهداف أخرى لا علاقة لها بمصالح السلام ومكافحة العدوان.

.3كان المخطط الغادر للسياسة الأنجلو-فرنسية هو جعل هتلر يفهم أن الاتحاد السوفيتي ليس لديه أي حلفاء، وأنه معزول وأنه يمكنه مهاجمة الاتحاد السوفيتي دون المخاطرة بمواجهة مقاومة من إنجلترا وفرنسا.

في ظل هذه الظروف، لا ينبغي أن يكون مفاجئا انهيار المحادثات الأنجلو-فرانكو-سوفيتية. لم يكن هذا الفشل عرضيا بالتأكيد. فقد أصبح من الواضح بشكل متزايد أن ممثلي القوى الغربية، في لعبتهم المزدوجة، عملوا بأنفسهم مقدما على إفشال هذه المحادثات. في الواقع، وبالتوازي مع المفاوضات مع الاتحاد السوفيتي التي كانت

تجري بصورة علنية، كان البريطانيون وراء الكواليس يجرون محادثات مع ألمانيا يعلقون عليها أهمية أكبر بما لا يقاس.
فإذا كانت الدوائر الحاكمة للقوى الغربية تسعى قبل كل شيء، من خلال محادثاتها في موسكو، إلى إضعاف يقظة الرأي العام في بلدانها وإلى خداع الشعوب التي سيقع جرها إلى الحرب، فإن المفاوضات مع الهتلريين كانت ذات طبيعة مغايرة.
إن برنامج المحادثات الأنجلو-ألمانية قد تمت صياغته بعبارات واضحة بما فيه الكفاية من قبل هاليفاكس، وزير الخارجية البريطاني، الذي كان يوجه دعوات لا لبس فيها لألمانيا الهتلرية في الوقت الذي يواصل فيه موظفوه مفاوضاتهم في موسكو.
لنأخذ مثلا حديثه في مأدبة عشاء أقيمت في المعهد الملكي للعلاقات الدولية في 29 جوان 1939، حيث أعلن هاليفاكس استعداده للتفاهم مع ألمانيا بشأن جميع المسائل "التي تزعج العالم". قال على وجه الخصوص:
"في مثل هذا الجو الجديد يمكننا دراسة مشكلة المستعمرات، مشكلة المواد الخام، مشكلة الحواجز التي تعيق التجارة، مشكل" المجال الحيوي"، مشكل الحد من التسلح وكل المشاكل الأخرى التي تهم الأوروبي) ".35(
إذا تذكرنا الطريقة التي تناولت بها صحيفة ديلي ميل Daily Mail المحافظة، المرتبطة بهاليفاكس، مشكلة "المجال الحيوي" في وقت مبكر من عام 1933، حيث اقترحت على الهتلريين أن يقيموا مجالا حيويا في الاتحاد السوفيتي، فلن يكون هناك أدنى شك في البعد الحقيقي لتصريح هاليفاكس ذاك. لقد كان هذا عرضا صريحا لألمانيا الهتلرية للموافقة على تقسيم العالم ومناطق النفوذ، ولحل جميع المشاكل بدون الاتحاد السوفيتي وبالخصوص على حسابه.
منذ جوان 1939، دخل ممثلو إنجلترا في محادثات مع ألمانيا في سرية تامة، بواسطة فولتاتWohltat ، الذي جاء إلى لندن كمندوب لهتلر لخطة السنوات الأربع. وأجرى محادثات مع هدسون، وزير التجارة الخارجية الإنجليزي، وج. ويلسون، مستشار تشامبرلين المقرب. لا يزال موضوع محادثات حزيران يكتنفه غموض السجلات الدبلوماسية. لكن في يوليو عاد فولتات إلى لندن واستؤنفت المحادثات. لكن موضوع هذه الجولة الثانية من المفاوضات أصبح معروفا الآن بفضل الوثائق

التي تم الاستيلاء عليها في ألمانيا والتي هي في أيدي الحكومة السوفيتية والتي سيتم نشرها قريبا.

اقترح هدسون وج. ويلسون على فولتات ثم على ديركسن، السفير الألماني في لندن، بدء محادثات سرية لإبرام اتفاق كبير وبعيد التأثير من شأنه أن يتضمن اتفاقا على تقاسم مجالات النفوذ على النطاق العالمي وإنهاء "المنافسة القاتلة على أسواق مشتركة". كان يعرض أن تكتسب ألمانيا نفوذا مهيمنا في جنوب شرق أوروبا. ففي تقريره إلى وزارة الخارجية الألمانية بتاريخ 21 يوليو 1939، أشار ديركسن إلى أن البرنامج الذي ناقشه فولتات وويلسون شمل قضايا سياسية وعسكرية واقتصادية. من بين المسائل السياسية، تم إفراد مكان خاص لمعاهدة عدم الاعتداء، بما في ذلك ميثاق عدم التدخل، والتي ستتضمن:

"ترسيم حدود المساحات الحيوية بين القوى العظمى، خاصة بين إنجلترا وألمانيا]".36[

وعند مناقشة المشاكل المتعلقة بإبرام هاتين الاتفاقيتين، كان الممثلون البريطانيون قد وعدوا أنه في حالة التوقيع على الاتفاقيات المذكورة، فإن إنجلترا ستتخلى عن الضمانات التي منحتها مؤخرا لبولندا.

وإذا ما اتفق الطرفان الانجليزي والألماني، فإن البريطانيين على استعداد للسماح للألمان بتسوية مشكلة دانزيج بمفردهم مع بولندا وكذلك مشكلة الممر البولندي، ويتعهدون بعدم التدخل في هذه التسوية.

علاوة على ذلك، يصادق ويلسون، مثلما هو ثابت وثائقيا من خلال تقارير ديركسن التي سيتم نشرها قريبا، على أنه إذا وقعت إنجلترا وألمانيا على المعاهدات المذكورة أعلاه، فسيتم التخلي فعليا عن السياسة الانجليزية المتعلقة بالضمانات.

"في هذه الحالة، ستبقى بولندا - كما يكتب ديركسن في تقريره -، إذا جاز التعبير، وجها لوجه مع ألمانيا" .

كل ذلك يعني أن حكام إنجلترا كانوا مستعدين لتسليم بولندا لقمة سائغة لهتلر في حين لم يجف بعد الحبر الذي وقعت به الضمانات الإنجليزية لبولندا.

في الوقت نفسه، إذا تم التوصل إلى اتفاقية أنجلو-ألمانية، فإن الهدف الذي ترمي إليه إنجلترا وفرنسا عندما دخلتا في محادثات مع الاتحاد السوفيتي سيكون قد تحقق ولأصبح من الأسهل تسريع النزاع بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي.

وأخيرا، كان من المزمع إكمال الاتفاقية السياسية بين إنجلترا وألمانيا باتفاقية اقتصادية تشتمل على صفقة سرية بشأن المسائل الاستعمارية، وتوزيع المواد الخام، وتقاسم الأسواق...الخ، وأيضا على قرض إنجليزي كبير لألمانيا.

هكذا إذن، كان حكام إنجلترا يتصورون اللوحة الجذابة لاتفاق راسخ مع ألمانيا وما يسمونه "توجيه" العدوان الألماني نحو الشرق، ضد بولندا التي منحوها مؤخرا "ضمانات" وضد الاتحاد السوفيتي.

لا عجب أن مشوهي ومزيفين التاريخ يتسترون بعناية ويسعون لإخفاء هذه الحقائق الحاسمة لفهم كامل لوضع أصبحت فيه الحرب حتمية.

لم يعد هناك أي شك في ذلك الوقت في أن إنجلترا وفرنسا، فعلتا كل ما في وسعهما لإثارة ألمانيا الهتلرية ضد الاتحاد السوفيتي عن طريق مشاورات وصفقات سرية ممارسين كل الاستفزازات الممكنة. وأنهما أبعد ما يكون عن نية القيام بأي عمل جاد لمنع ألمانيا الهتلرية من شن الحرب.

إن المزورين أيا كانوا، لن ينجحوا في أن يمحوا من التاريخ أو من وعي الناس الحقيقة الحاسمة المتمثلة في أنه في ظل تلك الظروف، وجد الاتحاد السوفيتي نفسه أمام هذا الخيار:

-إما قبول، لغرض الدفاع عن النفس، الاقتراح الذي قدمته ألمانيا للتوقيع على ميثاق عدم اعتداء وبالتالي ضمان تمديد السلام للاتحاد السوفيتي لفترة زمنية معينة، والتي ستستخدمها الدولة السوفيتية لتحسين تحضير قواتها للرد على هجوم محتمل من قبل المعتدي ؛

-أو رفض اقتراح ألمانيا بشأن ميثاق عدم الاعتداء وبالتالي السماح لمحرضي الحرب من معسكر القوى الغربية بجر الاتحاد السوفيتي فورا إلى صراع مسلح مع ألمانيا، وذلك في وضع غير ملائم تماما للاتحاد السوفيتي الذي سيجد نفسه في عزلة كاملة.

في ظل هذه الظروف، اضطرت الحكومة السوفيتية إلى اتخاذ خيارها وتوقيع ميثاق عدم اعتداء مع ألمانيا.

كان هذا الاختيار عملا حكيما واستشرافيا للسياسة الخارجية السوفيتية في الوضع القائم آنذاك. لقد أدى هذا العمل الذي قامت به الحكومة السوفيتية، إلى حد كبير، إلى النتيجة الإيجابية للاتحاد السوفيتي ولجميع الشعوب المحبة للحرية في الحرب العالمية الثانية.

سيكون من الافتراء الفاضح الادعاء بأن إبرام اتفاق مع الهتلريين كان جزءا من خطة السياسة الخارجية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. على العكس من ذلك، فإن اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية قد سعى دائما للتوصل إلى اتفاق مع الدول الغربية غير العدوانية ضد المعتدين الألمان والإيطاليين، بهدف ضمان الأمن الجماعي على أساس المساواة. لكن الاتفاقية هي فعل قائم على أساس المعاملة بالمثل. ففي حين كان الاتحاد السوفيتي يسعى للتوصل إلى اتفاق بشأن محاربة العدوان، كانت إنجلترا وفرنسا ترفض ذلك بشكل منهجي وفضلتا تنفيذ السياسة الهادفة إلى عزل الاتحاد السوفيتي، وسياسة التنازلات للمعتدين، وسياسة توجيه العدوان نحو الشرق ضد الاتحاد السوفيتي. وعوض أن تعارض الولايات المتحدة الأمريكية هذه السياسة الكارثية، دعمتها بكل الوسائل. أما بالنسبة لأصحاب المليارات الأمريكيين، فقد استمروا في استثمار رؤوس أموالهم في الصناعات الثقيلة الألمانية، وساعدوا الألمان على تطوير صناعتهم الحربية وبالتالي تسليح العدوان الألماني، ولسان حالهم يقول:

"حاربوا، أيها السادة الأوروبيون على راحتكم، قاتلوا بعون الله بينما نحن، أصحاب المليارات الأمريكيين المتواضعون، سنثري أنفسنا بفضل حربكم، من خلال الحصول على مئات الملايين من الدولارات من الأرباح القصوى" !

من المفهوم أنه، بالنظر إلى حالة الأمور في أوروبا، لم يكن أمام الاتحاد السوفييتي سوى مخرج واحد: قبول الاقتراح الألماني المتعلق بإبرام معاهدة. وكان ذلك أفضل مخرج ممكن.

كما حدث في عام 1918، ونتيجة للسياسة العدائية للقوى الغربية، وجد الاتحاد السوفيتي نفسه مضطرا لإبرام اتفاق سلام بريست مع الألمان، كذلك في عام 1939، بعد 20 عاما من سلام بريست، اضطر الاتحاد السوفيتي لعقد اتفاق مع الألمان نتيجة لنفس السياسات العدائية لإنجلترا وفرنسا.

إن الأقاويل التشويهية من جميع الأنواع التي تدعي أن الاتحاد السوفييتي ما كان ينبغي له، مع ذلك، الذهاب إلى حد اتفاق مع الألمان، لا يمكن إلا أن نعتبرها مثيرة للضحك. إذا كانت بولندا التي لها حليفين مثل إنجلترا وفرنسا، ذهبت إلى حد اتفاق عدم اعتداء مع الألمان في عام 1934، فلماذا لا يستطيع الاتحاد السوفيتي، الذي وجد نفسه في ظروف أقل ملاءمة، الوصول إلى الاتفاق نفسه في عام 1939؟ لماذا تمكنت إنجلترا وفرنسا، اللتان كانتا تمثلان القوة المهيمنة في أوروبا، من إصدار إعلان عدم اعتداء في عام 1938 مع الألمان، في حين أن الاتحاد السوفيتي المعزول بفضل السياسة العدائية التي انتهجتها إنجلترا وفرنسا لا يمكنه الذهاب إلى حد المعاهدة مع الألمان؟

أليست حقيقة أن الاتحاد السوفييتي، من بين جميع القوى الكبرى غير العدوانية في أوروبا، كان آخر من أبرم اتفاقا مع الألمان؟

بالطبع، مزيفو التاريخ والرجعيون الآخرون ليسوا سعداء لأن الاتحاد السوفيتي نجح بمهارة في استخدام المعاهدة السوفيتية الألمانية لتعزيز دفاعه. لأنه نجح في تحريك حدوده بعيدا غربا وفي سد الطريق أمام تقدم العدوان الألماني شرقا دون عوائق. لأن القوات الهتلرية أُجبرت على بدء هجومها شرقا، ليس من خط نارفا–مينسك–كييف، ولكن من خط يبعد مئات الكيلومترات إلى الغرب. لأن الاتحاد السوفيتي لم تستنزف دماؤه في الحرب الوطنية، لكنه خرج منتصرا من الحرب. ومع ذلك، فإن هذا السخط يندرج ضمن الغضب اليائس للسياسيين المفلسين.

لا يمكن أن نعتبر السخط المسعور لهؤلاء السادة إلا كدليل على هذه الحقيقة التي لا جدال فيها، وهي أن سياسة الاتحاد السوفيتي كانت ولا تزال صحيحة.

الجبهة "الشرقية". العدوان الألماني على الاتحاد السوفيتي. التحالف المناهض للهتلريين. مشكلة الالتزامات فيما بين الحلفاء

عند التوقيع على ميثاق عدم الاعتداء السوفيتي الألماني في أوت 1939، لم يكن لدى الاتحاد السوفيتي أي شك في أن هتلر سيهاجم الاتحاد السوفيتي عاجلا أم آجلا. نشأ هذا اليقين لدى الاتحاد السوفيتي من خلال المبادئ السياسية والعسكرية الأساسية التي كان يستلهم منها الهتلريون. تم تأكيد هذه القناعة من خلال النشاط العملي للحكومة الهتلرية طوال فترة ما قبل الحرب.

هذا هو السبب في أن المهمة الأولى للحكومة السوفيتية كانت إنشاء جبهة "شرقية" ضد العدوان الهتلري، وإنشاء خط دفاع على الحدود الغربية للأراضي البيلاروسية والأوكرانية، وتنظيم بهذه الطريقة حاجزا لعرقلة تقدم الجيوش الألمانية إلى الشرق. كان هذا يتطلب توحيد روسيا البيضاء وأوكرانيا السوفيتيتين مع بيلاروسيا وأوكرانيا الغربيتين التي استولت عليهما بولندا -النبلاء في عام 1920، وتحقيق تقدم القوات السوفيتية هناك. كان من الضروري أن التحلي بيقظة شديدة لأن القوات البولندية سيئة التجهيز تبين أنها ضعيفة، وكانت القيادة البولندية والحكومة قد هربتا بالفعل وقوات هتلر، التي لم تكن تواجه عقبات جدية، يمكن أن تحتل الأراضي البيلاروسية والأوكرانية قبل وصول القوات السوفيتية.

في 17 سبتمبر 1939، بأمر من الحكومة السوفيتية، عبرت القوات السوفيتية الحدود السوفيتية البولندية لما قبل الحرب، واحتلت بيلاروسيا الغربية وأوكرانيا الغربية وبدأت في تنظيم الدفاع على طول الخط الغربي للأراضي الأوكرانية والبيلاروسية. كان هذا في جوهره هو الخط المعروف في التاريخ باسم خط "Curzon"الذي تم وضعه في مؤتمر الحلفاء في فرساي.

بعد بضعة أيام، وقعت الحكومة السوفيتية اتفاقيات مساعدة متبادلة مع دول البلطيق، والتي نصت على تجميع حاميات للجيش السوفيتي على أراضي إستونيا ولاتفيا وليتوانيا، وتنظيم قواعد جوية سوفيتية وإنشاء قواعد بحرية.
وهكذا تشكل أساس الجبهة "الشرقية."
لم يكن من الصعب فهم أن تشكيل جبهة "شرقية" ليس مجرد مساهمة مهمة في عمل تنظيم أمن الاتحاد السوفيتي، بل كان أيضا مساهمة جادة في القضية المشتركة للدول المسالمة الذين قادوا النضال ضد العدوان الهتلري. ومع ذلك، ردت الغالبية العظمى من الدوائر الأنجلو-فرانكو-أمريكية بحملة بغيضة مناهضة للسوفييت ضد هذا الإجراء من قبل الحكومة السوفيتية، واصفة إياه بالعدوان.
لكن، كان هناك سياسيون بعيدو النظر بما يكفي لفهم معنى السياسة السوفيتية والاعتراف بصحة إنشاء جبهة "شرقية". ومن بين هؤلاء وفي مقدمتهم، السيد تشرشل، وزير البحرية آنذاك الذي قال، بعد عدة تصريحات غير ودية ضد الاتحاد السوفيتي، في خطابه الإذاعي في 1 أكتوبر 1939:
"ومع ذلك، فمن الواضح تماما أنه كان على الروس أن ينظموا الحراسة على هذا الخط، من أجل تأمين بلادهم من التهديد النازي. على كل حال هذا الخط قد وجد بالفعل كما أن إنشاء جبهة شرقية أصبح منذ الآن أمرا واقعا ولا تجرؤ ألمانيا النازية الآن على الهجوم على هذه الجبهة. عندما تم استدعاء السيد فون ريبنتروب إلى موسكو الأسبوع الماضي، كان ذلك بهدف اطلاعه على حقيقة – أو حمله على قبول حقيقة – أنه سيتعين على النازيين التخلي كليا وفوريا عن أطماعهم في دول البلطيق وأوكرانيا".
في حين كان الوضع مرضيا إلى حد ما بخصوص أمن الاتحاد السوفيتي على حدوده الغربية البعيدة جدا عن موسكو ومينسك وكييف، لا يمكن قول الشيء نفسه عن الحدود الشمالية للاتحاد السوفيتي. هناك، بالكاد على بعد 20 ميلا من لينينغراد، كانت القوات الفنلندية موجودة وكانت غالبية القيادة تميل إلى ألمانيا الهتلرية. كانت الحكومة السوفيتية تدرك تماما أن العناصر الفاشية في الدوائر الحاكمة لفنلندا، والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالهتلريين والتي كان نفوذها كبيرا في الجيش الفنلندي، كانت

تهدف إلى الاستيلاء على لينينغراد. لا يمكن أن نعتبر من قبيل الأمر العابر زيارة رئيس الأركان العامة للجيش الهتلري، هالدرHalder ، إلى فنلندا في صيف عام 1939 لإعطاء تعليمات لكبار قادة الجيش الفنلندي. كان من المؤكد أن الدوائر الحاكمة الفنلندية كانت متحالفة مع الهتلريين وأنهم أرادوا جعل فنلندا مخزن سلاح لعدوان ألمانيا الهتلرية على الاتحاد السوفيتي.

لذلك، لا عجب في أن كل المحاولات التي قام بها الاتحاد السوفيتي لإيجاد أرضية مشتركة مع الحكومة الفنلندية من أجل تحسين العلاقات بين البلدين، لم تنجح.

رفضت حكومة فنلندا، تباعا، جميع المقترحات الودية للحكومة السوفيتية الهادفة إلى ضمان أمن الاتحاد السوفياتي. وعلى وجه الخصوص أمن لينينغراد، على الرغم من موافقة الاتحاد السوفيتي على تلبية رغبات فنلندا المتعلقة بالمصالح المشروعة لهذه الأخيرة.

رفضت الحكومة الفنلندية الاقتراح الذي قدمه الاتحاد السوفيتي بخصوص تراجع الحدود الفنلندية في كاريليا Carélie إلى بضع عشرات من الكيلومترات، على الرغم من أن الحكومة السوفيتية وافقت مقابل ذلك على التنازل لفنلندا عن ضعف حجم كاريليا السوفيتية.

رفضت الحكومة الفنلندية أيضا اقتراح الاتحاد السوفيتي فيما يتعلق بإبرام ميثاق المساعدة المتبادلة، مما يثبت أن أمن الاتحاد السوفيتي من الجانب الفنلندي لم يكن مضمونا.

من خلال هذه الأعمال العدائية وغيرها من هذا القبيل، ومن خلال استفزازاتها على الحدود السوفيتية الفنلندية، أطلقت فنلندا العنان للحرب مع الاتحاد السوفيتي.

الجميع يعرف نتائج الحرب السوفيتية الفنلندية. تم دفع حدود الاتحاد السوفيتي في الشمال الغربي، وخاصة في منطقة لينينغراد إلى الأمام، وتدعم أمن الاتحاد السوفيتي. لعب هذا دورا مهما في الدفاع عن الاتحاد السوفيتي ضد العدوان الهتلري، بقدر ما اضطرت ألمانيا الهتلرية وشركاؤها الفنلنديون لشن هجومهم في شمال غرب الاتحاد السوفيتي، ليس من أمام لينينغراد نفسها، ولكن من خط يبعد حوالي 150 كيلومترا إلى الشمال الغربي.

قال مولوتوف في خطابه أمام جلسة مجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في 29 مارس:

"رغم سحق الاتحاد السوفيتي للجيش الفنلندي ورغم أنه كان لديه الحرية الكاملة في احتلال فنلندا بالكامل، إلا أنه لم يفعل ذلك ولم يطالب بأي مساهمة كتعويض عن نفقات الحرب، كما كانت ستقوم بذلك أية قوة أخرى. لقد اكتفى بالحد الأدنى من حاجته.

"في اتفاقية السلام لم نحدد لأنفسنا أي هدف آخر سوى ضمان أمن لينينغراد ومورمانسك وطريق مورمانسك".

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أن جميع سياسات الدوائر الحاكمة الفنلندية تجاه الاتحاد السوفيتي تصب لصالح ألمانيا الهتلرية، فإن القادة الأنجلو-فرنسيين في عصبة الأمم انحازوا على الفور إلى الحكومة الفنلندية، ووصفوا الاتحاد السوفيتي بـ"المعتدي". وبالتالي كانوا قد وافقوا ودعموا بصورة علنية الحرب التي بدأها الحكام الفنلنديون ضد الاتحاد السوفيتي. إن عصبة الأمم، التي فقدت مصداقيتها من خلال التسامح مع المعتدين اليابانيين والإيطاليين والألمان وتشجيعهم، صوتت بطاعة كاملة، بناء على أوامر القادة الأنجلو-فرنسيين، على قرار موجه ضد الاتحاد السوفيتي وأعلنت بتبجح "اقصاء" اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية.

أكثر من ذلك، قدمت إنجلترا وفرنسا أكبر المساعدة للجيش الفنلندي في الحرب التي شنها الرجعيون الفنلنديون ضد الاتحاد السوفيتي، وحثت الدوائر الحاكمة الأنجلو-فرنسية الحكومة الفنلندية مرارا وتكرارا على مواصلة الحرب.

قام الحكام الأنجلو-فرنسيون بتزويد فنلندا بالأسلحة بشكل ممنهج، وكانوا يستعدون بقوة لإرسال فرقة قوامها 100.000 رجل إلى فنلندا.

وفقا لتصريح تشامبرلين أمام مجلس العموم، في 19 مارس 1940، بعد ثلاثة أشهر من بدء الحرب، زودت إنجلترا فنلندا بـ 101 طائرة وأكثر من 200 بندقية ومئات الآلاف من القذائف وقنابل الطائرات والألغام المضادة للدبابات. في نفس الوقت أعلن دالاديه Daladier لمجلس النواب أن فرنسا سلمت إلى فنلندا 175 طائرة،

وحوالي 500 مدفع، وأكثر من 5000 رشاش، ومليون طلقة مدفعية وقنابل يدوية ومواد حربية أخرى.
يمكن للمرء أن يكون فكرة كاملة عن خطط الحكومتين البريطانية والفرنسية في ذلك الوقت من خلال المذكرة التي قدمها الإنجليز إلى السويديين في 2 مارس 1940، والتي ورد فيها، من بين أشياء أخرى:
"تدرك حكومات الحلفاء أن الوضع العسكري في فنلندا أصبح يائسا. بعد دراسة متأنية لجميع الاحتمالات، توصلوا إلى استنتاج مفاده أن الطريقة الوحيدة لتقديم مساعدة فعالة لفنلندا هي إرسال قوات من الحلفاء، وهم مستعدون لإرسال هذه القوات استجابة لطلب فنلندي] .37" [
في ذلك الوقت، كما قال تشامبرلين للبرلمان الإنجليزي في 19 مارس:
"كانت الاستعدادات لإرسال قوات الدعم تتم بأقصى قدر من الحرص، وكان جيش الدعم على استعداد للمغادرة في أوائل مارس... قبل شهرين من الموعد الذي حدده المارشال مانرهايم".
وأضاف تشامبرلين أن قوام هذه القوات يبلغ 100 ألف رجل.
في الوقت نفسه، كانت الحكومة الفرنسية تعد أيضا قوة دعم قوامها 50.000 رجل، كوحدة أولى يتم توجيهها إلى فنلندا عبر نارفيك.
كانت الحكومات الأنجلو-فرنسية تبذل كل هذا النشاط العسكري في حين لم تبذل أي نشاط ضد ألمانيا الهتلرية، زمن الحرب "المهزلة" الدائرة.
لكن الدعم العسكري لفنلندا ضد الاتحاد السوفيتي كان مجرد جزء من خطة أكبر بكثير للإمبرياليين الأنجلو-فرنسيين.
نعثر في "الكتاب الأبيض" المذكور أعلاه الصادر عن وزارة الخارجية السويدية على وثيقة من تأليف وزير الخارجية السويدي، جونتر Gunter جاء فيها:
"إن إرسال هذه المجموعة من الفرق العسكرية كان جزءا من الخطة العامة للعدوان على الاتحاد السوفيتي"،
و: "ستدخل [هذه الخطة] حيز التنفيذ ضد باكو اعتبارا من 15 مارس، وحتى قبل ذلك عبر فنلندا] ".38[

إليكم العبارات التي يتحدث بها هنري دي كيريليس عن هذه الخطة في كتابه "ديغول، الديكتاتور:"

"وفقا لهذه الخطة، التي لخص السيد بول رينود [39] خطوطها العامة لي في رسالة موجزة احتفظت بها، فإن قوة دعم مدرعة ستهبط في فنلندا عبر النرويج وستؤدي سريعا إلى زعزعة جحافل روسيا غير المنظمة وتسير نحو لينينغراد] .40" [

تم وضع هذه الخطة في فرنسا من قبل ديغول والجنرال ويغان، الذي كان يقود آنذاك جيش سوريا والذي تبجح قائلا "انه مع القليل من التعزيزات ومئتي طائرة، سوف يستولي على القوقاز ويتغلغل في روسيا مثل مثل التغلغل في الزبدة".

يعرف الجميع أيضا خطة العمليات العسكرية الأنجلو-فرنسية ضد الاتحاد السوفيتي التي وضعها الجنرال جاميلين Gamelin في عام 1940، والتي تم فيها إيلاء اهتمام خاص لقصف باكو وباتومي.

إن استعدادات الحكام الأنجلو-فرنسيين للهجوم على الاتحاد السوفيتي قد تم تكثيفها إلى الأقصى. وكانت هيئة الأركان العامة في إنجلترا وفرنسا تعمل بجد لتطوير الخطط لهذا الهجوم. وهكذا، بدلا من شن الحرب على ألمانيا الهتلرية، أراد هؤلاء السادة بدء الحرب على الاتحاد السوفيتي.

لكن هذه الخطط لم تتحقق. فقد وقع في ذلك الوقت سحق فنلندا من قبل القوات السوفيتية وأجبرت على الاستسلام على الرغم من كل الجهود التي بذلتها إنجلترا وفرنسا لمنع ذلك.

وتم التوقيع على معاهدة السلام السوفيتية الفنلندية في 12 مارس 1940.

وهكذا تم تحسين الدفاع عن الاتحاد السوفيتي ضد عدوان هتلر في الشمال أيضا، في منطقة لينينغراد، حيث تم نقل خط الدفاع على بعد 150 كيلومترا شمال لينينغراد، إلى، وبما في ذلك، فيبورغ.Vyborg

لكن هذا لا يعني بعد أن الجبهة "الشرقية"، من بحر البلطيق إلى البحر الأسود، قد تشكلت بالكامل. فقد تم إبرام اتفاقيات مع دول البلطيق، ولكن لم يكن هناك حتى ذلك الوقت أي قوات سوفيتية يمكنها مسك الدفاع. صحيح أيضا أن مولدافيا وبوكوفينا رسميا متحدتين مع الاتحاد السوفيتي، ولكن هناك أيضا، لم تكن هناك أي

قوات سوفيتية قادرة على الدفاع. وفي منتصف يونيو 1940، دخلت القوات السوفيتية لاتفيا وإستونيا وليتوانيا. وفي 27 يونيو من نفس العام، دخلت القوات السوفيتية بوكوفينا ومولدافيا، اللتين انتزعتهما رومانيا من الاتحاد السوفيتي بعد ثورة أكتوبر.

وبذلك اكتمل تشكيل الجبهة "الشرقية" ضد عدوان هتلر من بحر البلطيق إلى البحر الأسود.

لم تدرك الدوائر الحاكمة الأنجلو-فرنسية، التي استمرت في معاملة الاتحاد السوفيتي كمعتدي لأنه شكل جبهة "شرقية"، على ما يبدو أن ظهور هذه الجبهة كان يعني نقطة تحول جذرية في تطور الحرب ضد الاستبداد الهتلري، لصالح انتصار الديمقراطية. لم يفهموا أن الأمر لا يتعلق بمسألة المس أو عدم المس بالحقوق الوطنية لفنلندا وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا، ولكن يتعلق بتنظيم الانتصار على النازيين، لمنع تحول هذه البلدان إلى مستعمرات خاضعة تماما لألمانيا الهتلرية.

لم يفهموا أن الأمر يتعلق بوضع حاجز أمام القوات الألمانية في جميع المناطق حيث كان ذلك ممكنا، لتنظيم دفاع قوي ثم شن هجوم مضاد والتغلب على الجيوش الهتلرية وبالتالي خلق إمكانية التنمية الحرة لهذه البلدان.

لم يفهموا أنه لا توجد وسيلة أخرى لضمان الانتصار على عدوان هتلر.

هل تصرفت الحكومة البريطانية بشكل جيد في إيواء قواتها أثناء الحرب في مصر رغم احتجاج المصريين بل رغم مقاومة بعض العناصر في مصر؟ نعم بالتأكيد! لقد كانت وسيلة مهمة للغاية لقطع الطريق أمام عدوان هتلر على قناة السويس، وللحفاظ على مصر من الهجمات الهتلرية، وتنظيم النصر على هتلر وبالتالي منع تحول مصر إلى مستعمرة هتلرية.

هل قامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بعمل جيد عندما أنزلت قواتها في الدار البيضاء، رغم احتجاجات المغاربة والمقاومة المسلحة المباشرة من حكومة بيتان في فرنسا التي كانت سلطتها تمتد إلى المغرب؟ نعم بالتأكيد! كانت هذه وسيلة مهمة للغاية لإنشاء قاعدة لإحباط العدوان الألماني في المنطقة المجاورة مباشرة

لأوروبا الغربية، لتنظيم النصر على قوات هتلر وبالتالي خلق إمكانية تحرير فرنسا من نير الاستعمار الهتلري.

ولكن يجب أن يقال الشيء نفسه عن تصرفات الحكومة السوفيتية التي نظمت، في صيف عام 1940 جبهة "شرقية" ضد العدوان الهتلري، وقامت بتجميع قواتها في أقصى غرب لينينغراد وموسكو وكييف. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لمنع القوات الألمانية من التقدم دون عوائق نحو الشرق، ولبناء دفاع قوي من أجل المضي في هجوم مضاد لسحق الجيش الهتلري بالتعاون مع الحلفاء، وبالتالي منع جيش هتلر من تحويل الدول المسالمة في أوروبا، بما في ذلك فنلندا وإستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا، إلى مستعمرات هتلرية.

ولكن يستنتج من ذلك أن تشامبرلين ودالاديبه والوفد المرافق لهم، الذين وصفوا سياسة الحكومة السوفيتية هذه بأنها عدوان والذين نظموا اقصاء الاتحاد السوفيتي من عصبة الأمم قد تصرفوا كأعداء للديمقراطية أو كأغبياء.

ويترتب على ذلك أيضا أن مشوهي ومزيفي التاريخ، الذين يقومون اليوم بعملهم بالتنسيق مع السادة بيفن وبيدولت Bevin et Bidault ويصفون تشكيل الجبهة "الشرقية" ضد هتلر بالعدوان، هم بالمثل أعداء للديمقراطية أو مجانين.

ماذا كان سيحدث لو أن الاتحاد السوفياتي لم يكن قد أنشأ قبل عدوان ألمانيا الجبهة "الشرقية"، التي نقلت غربا الحدود السابقة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، وإذا لم تتبع هذه الجبهة الخط. فيبورغ - كاوناس - بيلوستوك - بريست - لفوف، وتمركزت على طول حدود لينينغراد - نارفا - مينسك - كييف القديمة؟

كان من شأن ذلك أن يسمح لقوات هتلر بكسب مساحة تمتد لمئات الكيلومترات، الأمر الذي كان من شأنه أن يقرب الجبهة الألمانية بمقدار 200-300 كيلومتر من لينينغراد - موسكو - مينسك - كييف، مما كان سيعجل بالتقدم الألماني نحو عمق الاتحاد السوفيتي وتسريع سقوط كييف وأوكرانيا، ولأسفر عن الاستيلاء على موسكو من قبل الألمان والاستيلاء على لينينغراد من قبل القوات الموحدة للألمان والفنلنديين؛ وكان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية سيجبر على البقاء في موقف دفاعي لفترة أطول، مما كان سيسمح للألمان بالاستغناء عن حوالي خمسين

فرقة في الشرق بهدف إنزالهم في الجزر البريطانية واستغلالهم لتعزيز الجبهة الألمانية الإيطالية في منطقة مصر. ولكان من المحتمل جدا أن تضطر الحكومة البريطانية إلى المنفى في كندا، وأن يتم إخضاع مصر وقناة السويس لسيطرة هتلر.
لكن ذلك لم يكن كل شيء. كان اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية سيضطر إلى نقل جزء كبير من قواته من حدود منشوريا إلى الجبهة "الشرقية" من أجل تعزيز دفاعها، الأمر الذي كان سيمكن اليابانيين من تحرير ما يصل إلى 30 فرقة في منشوريا وتوجيههم ضد الصين والفلبين وجنوب شرق آسيا بشكل عام، وفي النهاية ضد القوات الأمريكية في الشرق الأقصى.
كل ذلك كان من شأنه أن يطيل أمد الحرب لمدة عامين على الأقل، وكانت الحرب العالمية الثانية ستنتهي، ليس في عام 1945، ولكن في عام 1947 أو حتى بعد ذلك بقليل.
كان ذلك هو الوضع بالنسبة للجبهة "الشرقية."
في الأثناء، كانت الأحداث في الغرب تأخذ مجراها. في أبريل 940، احتل الألمان الدنمارك والنرويج وفي منتصف شهر مايو غزت القوات الألمانية هولندا وبلجيكا ولوكسمبورغ. وفي 21 ماي، وصل الألمان إلى "المانش" الإنجليزية وعزلوا الحلفاء في فلاندرز. وفي نهاية مايو أخلت القوات الإنجليزية دونكيرك وغادرت فرنسا وتوجهت إلى إنجلترا. في منتصف يونيو، سقطت باريس، وفي 22 جوان، استسلمت فرنسا لألمانيا.
وهكذا داس هتلر بالأقدام على جميع إعلانات عدم الاعتداء، مهما كانت، الموقعة مع فرنسا وإنجلترا.
لقد كان ذلك فشلا ذريعا لسياسة التنكر للأمن الجماعي، ولسياسة عزل الاتحاد السوفيتي.
أصبح واضحا أنه من خلال عزل الاتحاد السوفيتي، دمرت فرنسا وإنجلترا الجبهة الموحدة للشعوب المحبة للحرية، وبذلك وجدت نفسها ضعيفة ومعزولة.
في 1 مارس 1941، احتل الألمان بلغاريا.
في 5 أبريل، أعلن الاتحاد السوفيتي توقيع معاهدة عدم اعتداء مع يوغوسلافيا.

في 22 يونيو من نفس العام، هاجمت ألمانيا الاتحاد السوفيتي.
دخلت إيطاليا ورومانيا والمجر وفنلندا في حرب مع الاتحاد السوفيتي إلى جانب ألمانيا.
بدأ الاتحاد السوفيتي حرب التحرير ضد ألمانيا الهتلرية.
كان رد فعل الأوساط المختلفة في أوروبا وأمريكا على هذا الحدث مختلفا.
الشعوب التي استعبدها هتلر تنفست بحرية أكبر، على يقين من أن هتلر سوف يكسر رقبته بين الجبهتين، "الغربية" و"الشرقية."
شعرت الدوائر الحاكمة في فرنسا بفرح شديد، حيث لم يكن لديهم شك في أن "روسيا ستهزم" في فترة زمنية قصيرة جدا.
قال السيد ترومان، العضو البارز في مجلس الشيوخ الأمريكي، والرئيس الحالي للولايات المتحدة، في أعقاب العدوان الألماني على الاتحاد السوفيتي:
"إذا رأينا أن ألمانيا لها اليد العليا، فسيتعين علينا مساعدة روسيا، وإذا كانت الاحتمالات إلى جانب روسيا، فسيتعين علينا مساعدة ألمانيا، حتى يقتلوا أكبر قدر ممكن] .41" [
صدر بيان مماثل في بريطانيا عام 1941، من قبل مور-برابازون-Moore Brabazon، وزير صناعة الطيران آنذاك، الذي أعلن أن أفضل نتيجة للصراع على الجبهة "الشرقية" بالنسبة لبريطانيا العظمى، سيكون الاستنزاف المتبادل لألمانيا ولاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية، مما سيسمح لإنجلترا بتأمين مركز مهيمن.
وعبرت هذه التصريحات، بلا شك، عن موقف الدوائر الرجعية في الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى.
لكن الغالبية العظمى من الشعبين الإنجليزي والأمريكي تعاطفت مع الاتحاد السوفيتي.
وطالبت بعمل مشترك مع الاتحاد السوفيتي من أجل شن النضال بنجاح ضد ألمانيا الهتلرية.
يبدو أن تصريح رئيس الوزراء البريطاني، السيد تشرشل، بتاريخ 22 يونيو 1941، عكس هذه الحالة الذهنية عندما قال:

"الخطر الذي يتهدد روسيا خطر علينا وعلى الولايات المتحدة، كما أن قضية كل روسي يكافح من أجل أرضه ومنزله هي قضية الشعوب الحرة والدول الحرة في أي جزء من العالم" .

نفس الموقف تجاه اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية تم تبنيه من قبل حكومة روزفلت في الولايات المتحدة.

وضع هذا حجر الأساس للتحالف الأنجلو-سوفيتي-أمريكي ضد ألمانيا الهتلرية.

كان التحالف المناهض لهتلر قد حدد لنفسه هدف القضاء التام على النظام الهتلري وتحرير الأمم التي استعبدتها ألمانيا الهتلرية. وعلى الرغم من الاختلافات الأيديولوجية وفي النظام الاقتصادي لمختلف الدول المتحالفة، أصبح التحالف الأنجلو-سوفييتي-أمريكي تحالفا قويا للشعوب التي وحدت جهودها في النضال التحريري ضد الهتلرية. بالطبع، في ذلك الوقت أيضا، أثناء الحرب، كانت هناك خلافات في الرأي بين الحلفاء حول بعض المسائل. يعلم الجميع، على سبيل المثال، مدى أهمية الاختلافات حول مسائل أساسية مثل فتح الجبهة الثانية، والتزامات الحلفاء، وواجبهم الأخلاقي المتبادل.

من خلال استحضار هذه الاختلافات، يسعى مزيفو التاريخ والمفترون من جميع الأنواع إلى "إثبات"، ضد البديهيات، أن الاتحاد السوفيتي لم يكن ولا يمكن أن يكون حليفا قويا ومخلصا في الكفاح ضد العدوان الهتلري. لكن وبما أن وقائع النضال المشترك ضد ألمانيا الهتلرية وسلوك الاتحاد السوفيتي خلال هذا النضال يفند مثل هذه الاتهامات، فقد تحولوا إلى الماضي، إلى فترة ما قبل الحرب، زاعمين أنه خلال "المحادثات" مع هتلر في برلين، في عام 1940، تصرف ممثلو الاتحاد السوفيتي بشكل عدائي وليس كحلفاء. وأكدوا أنه خلال "محادثات برلين"، تم فحص واعتماد "خطط تقسيم أوصال أوروبا" العدائية، والمطالبات الإقليمية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية "جنوب الاتحاد السوفيتي في اتجاه المحيط الهندي"، و"خطط" تتعلق بتركيا وإيران وبلغاريا و"مشاكل" أخرى. ويستخدم المفترون لهذا الغرض تقارير السفراء الألمان والمسؤولين الهتلريين الآخرين، والملاحظات من جميع الأنواع، والمسودات الألمانية و"وثائق" أخرى مماثلة.

ما الذي حدث بالفعل في برلين؟ يجب أن يقال إن ما يسمى بـ "محادثات برلين" في عام 1940 كانت في الواقع مجرد زيارة قام بها ف. مولوتوف، ردا على زيارتين قام بهما ريبنتروب إلى موسكو. المحادثات التي جرت تتعلق بشكل رئيسي بالعلاقات السوفيتية الألمانية. كان هتلر يحاول جعل هذا أساسا لاتفاقية بعيدة المدى بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي. على العكس من ذلك، استخدم الاتحاد السوفيتي هذه المحادثات لاستطلاع، واختبار المواقف الألمانية، دون أن يكون لديه أي نية لإبرام أي اتفاق على الإطلاق مع الألمان. خلال هذه المحادثات، اعتقد هتلر أن الاتحاد السوفييتي يجب أن يحصل على منفذ في الخليج الفارسي، من خلال احتلال غرب إيران وحقول النفط البريطانية هناك. ثم قال إن ألمانيا يمكن أن تساعد الاتحاد السوفيتي لتلبية الطلبات السوفيتية في تركيا، والذهاب إلى حد تعديل معاهدة مونترو حول المضائق .Détroits ودون مراعاة لأي مصلحة إيرانية، دافع بعناية عن مصالح تركيا، التي كان ينظر إليها بوضوح على أنها حليفه الحالي أو على الأقل في المستقبل. أما بالنسبة لدول البلقان وتركيا، فقد كان هتلر يعتبرها ضمن مناطق نفوذ ألمانيا وإيطاليا.

استخلصت الحكومة السوفيتية الاستنتاجات التالية من هذه المحادثات: ألمانيا ليست مرتبطة ولا تنوي الارتباط بإيران. ألمانيا ليست مرتبطة ولا تنوي الارتباط بإنجلترا. وبالتالي قد يكون لدى الاتحاد السوفيتي في شخص إنجلترا حليف أكيد ضد ألمانيا الهترلية. دول البلقان، إما تم شراؤها بالفعل وتحويلها إلى قواعد لألمانيا (بلغاريا، رومانيا، والمجر)، أو مستعبدة، مثل تشيكوسلوفاكيا، أو بصدد الإخضاع، مثل اليونان. يوغوسلافيا هي الدولة البلقانية الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها كحليف مستقبلي للمعسكر المناهض لهتلر. تركيا هي من الآن، مرتبطة ارتباطا وثيقا بألمانيا الهتلرية، أو أنها تنوي الارتباط بها.

بعد استخلاص هذه النتائج المفيدة، لم تستأنف الحكومة السوفيتية أبدا المحادثات حول المسائل المشار إليها، على الرغم من رسائل التذكير المتكررة من روبنتروب Ribbentrop.

كما يمكن للجميع أن يرى، كان ذلك استطلاعا لمواقف الحكومة الهتلرية من قبل الحكومة السوفيتية، استطلاعا لم يؤدي ولا يمكن أن يؤدي إلى أي اتفاق على الإطلاق.

هل مثل هذا الاستطلاع لمواقف العدو من قبل الدول المسالمة جائز؟ نعم بكل تأكيد. هذا ليس مسموحا به فحسب، بل يكون في بعض الأحيان ضرورة سياسية مباشرة. يشترط فقط أن يتم إجراء الاستطلاع بمعرفة الحلفاء وموافقتهم وأن يتم لفت انتباههم إلى النتيجة. لكن الاتحاد السوفيتي لم يكن لديه أي حلفاء في ذلك الوقت، فقد كان معزولا وللأسف لم يتمكن من مشاركة نتائج الاستطلاع معهم.

وتجدر الإشارة إلى أن استطلاعا مشابها لمواقف ألمانيا الهتلرية، وإن كان مشبوها إلى حد ما، تم إجراؤه من قبل ممثلي إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية حتى أثناء الحرب، أي بعد تنظيم التحالف المناهض للهتلرية بين إنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية- اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. يتضح هذا الأمر من الوثائق التي استولت عليها القوات السوفيتية في ألمانيا.

تظهر هذه الوثائق أنه في خريف عام 1941، وكذلك في عامي 1942 و1943، جرت محادثات في لشبونة وسويسرا، دون علم الاتحاد السوفيتي، بين ممثلي إنجلترا وألمانيا، ثم بين ممثلي الولايات المتحدة وألمانيا.

تصف إحدى هذه الوثائق، المرفقة بتقرير فايزساكرWeizsäcker ، وزير الدولة للشؤون الخارجية في ألمانيا، التقدم المحرز في هذه المحادثات في لشبونة في سبتمبر 1941. ويبدو من هذه الوثيقة أن مقابلة جرت في 13 سبتمبر بين نجل اللورد بيفربروكBeaverbrook ، أيتكين، ضابط في الجيش الإنجليزي، أصبح فيما بعد عضوا في البرلمان البريطاني، ممثلا عن إنجلترا، والمجري غوستاف فون كوفيرعن ألمانيا، بناء على تعليمات وزير الخارجية الألماني، حسب رسالة كراويل Krauel، القنصل العام لألمانيا في جنيف، إلى فايزساكر، وزير الدولة للشؤون الخارجية في ألمانيا.

خلال هذه المحادثات طرح آيتكين السؤال مباشرة:

"ألا يمكننا الاستفادة من الشتاء والربيع المقبلين لكي نتباحث في الكواليس حول احتمالات السلام؟"

وهناك وثائق أخرى تتعلق بالمحادثات التي جرت في سويسرا بين ممثلي حكومتي الولايات المتحدة وألمانيا، في فيفري 1943. قاد هذه المفاوضات ألين دالاس Allen Dulles(شقيق جون فوستر دالاس)، المندوب الخاص لحكومة الولايات المتحدة. ظهر ألين دالاس تحت الاسم المستعار « Bull » تم تكليفه بـ "مهمة مباشرة" وبصلاحيات ممنوحة من البيت الأبيض. كان شريكه من الجانب الألماني، الأمير م. هوهنلوهM. Hohenlohe ، المقرب من الدوائر الحاكمة لألمانيا الهتلرية وقد عمل كممثل لهتلر تحت الاسم المستعار "بولس". الوثيقة التي تحتوي على رواية هذه المحادثات تمتلكها مصالح الاستخبارات الهتلرية.

كما يتضح من هذه الوثيقة، تم تناول أسئلة مهمة خلال المقابلة، فيما يتعلق بالنمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا والمجر، وقبل كل شيءمسألة توقيع السلام مع ألمانيا.

خلال هذه المقابلة، أعلن أ.دلس:« Bull »

"إن أمما مثل ألمانيا يجب ألا يتم إهانتها بالبؤس والظلم ودفعها إلى تجارب يائسة وبطولية. يجب أن تظل الدولة الألمانية عامل نظام وردع. لا يمكن أن يقع تقاسمها أو فصل النمسا عنها] .42" [

فيما يتعلق ببولندا، أعلن دالاس(Bull)

..."أن إنشاء طوق صحي ضد البلشفية والسلافية يجب أن يتم دعمه من خلال توسع بولندا في الشرق، والحفاظ على رومانيا وعلى مجر قوي] .43" [

ثم تشير الوثيقة إلى ما يلي:

"يتفق بول بشكل أو بآخر على تنظيم أوروبا في شكل دول ومنظمات صناعية تمتد على مساحات لشاسعة، ويفترض أن قيام ألمانيا الكبرى على أساس فدرالي (على غرار الولايات المتحدة)، مع انضمام كونفدرالية دانوبيةDanubienne ، سيكون أفضل ضمان للنظام والنهضة لأوروبا الوسطى والشرقية] .44" [

كما قال دالاس (Bull) إنه يتفهم تماما طموحات الصناعة الألمانية في لعب دور مهيمن في أوروبا.
لا يمكننا أن نتجاهل حقيقة أن البريطانيين والأمريكيين أجروا هذا الاستطلاع بدون علم ودون موافقة حليفهم الاتحاد السوفيتي، وأنه لم يتم إبلاغ الحكومة السوفيتية بأي شيء، ولو بصفة لاحقة، عن نتائج هذا الاستطلاع.
قد يعني ذلك أن حكومتي الولايات المتحدة وإنجلترا حاولتا، في هذه الحالة، الشروع في المحادثات مع هتلر من أجل سلام منفصل.
من الواضح أن مثل هذا الموقف لحكومتي إنجلترا والولايات المتحدة لا يمكن إلا أن يُنظر إليه على أنه انتهاك لأبسط المتطلبات المتعلقة بواجبات والتزامات الحلفاء.
ويترتب على ذلك أن مزيفي التاريخ يريدون باتهام الاتحاد السوفيتي "بقلة النزاهة" أن يلقوا بذنبهم على الآخرين.
لا يمكن أن يكون هناك شك في أن هذه الوثائق معروفة لمزوري التاريخ وغيرهم من المفترين، وأنهم إذ أخفوها عن الرأي العام، وتجاهلوها في حملة الافتراء على الاتحاد السوفيتي، فذلك لأنهم يخشون الحقيقة التاريخية مثل خشيتهم الطاعون.
أما الاختلافات في الرأي حول مسألة فتح الجبهة الثانية، فهي تعكس طرقا مختلفة لفهم الالتزامات المتبادلة للحلفاء. إذ يرى المواطنون السوفييت أنه عندما يجد الحليف نفسه في موقف صعب، يجب مساعدته بأي وسيلة ممكنة، ولا ينبغي أن يُنظر إليه على أنه رفيق طريق مؤقت، بل كصديق، يفرح بنجاحاته، ويبتهج عندما يصبح أقوى.
لم يكن ممثلو البريطانيين والأمريكيين من هذا الرأي، بل إنهم يصفون هذه الأخلاق بالسذاجة. إنهم ينطلقون من وجهة النظر القائلة بأن الحليف القوي أمر خطير، وأنه ليس من مصلحتهم أن يصبح هذا الحليف أقوى، وأنه من الأفضل أن تكون حليفا ضعيفا على أن تكون حليفا قويا، وأنه إذا أصبح الحليف أقوى. يجب اتخاذ إجراءات لإضعافه.
يعلم الجميع أنه من خلال البيان الأنجلو-سوفيتي، وكذلك من خلال البيان السوفيتي الأمريكي الصادر في يونيو 1942، تعهد الأنجلو أمريكيون بفتح جبهة ثانية في أوروبا

منذ عام 1942. كان ذلك وعدا رسميا، قسما، إذا شئنا، كان يجب الوفاء به في الموعد المحدد من أجل تخفيف العبء على قوات الاتحاد السوفيتي التي تحملت، في المرحلة الأولى من الحرب، العبء الكامل للتصدي للفاشية الألمانية. لكن يعلم الجميع أيضا أن هذا الوعد لم يتم الوفاء به في عام 1942 ولا في عام 1943، على الرغم من إعلان الحكومة السوفيتية مرارا وتكرارا أن الاتحاد السوفيتي سيتضرر من تأجيل الجبهة الثانية.

لم تكن سياسة تأجيل الجبهة الثانية عرضية بأي حال من الأحوال. كانت مستوحاة من أهداف الدوائر الرجعية في إنجلترا والولايات المتحدة، والتي سعت في الحرب ضد ألمانيا إلى تحقيق أهدافها الخاصة، والتي لم يكن لها أي شيء مشترك مع أهداف النضال التحريري ضد الفاشية الألمانية.

لم يكن في مخططاتهم سحق الفاشية الألمانية بالكامل. منطلقين من أهداف أنانية بحتة، كان لديهم بالتأكيد مصلحة في إضعاف قوة ألمانيا، وقبل كل شيء، في الإطاحة بألمانيا كمنافس خطير في السوق العالمية. لكن لم يكن بأي حال من الأحوال في نيتهم تحرير ألمانيا والبلدان الأخرى من هيمنة القوى الرجعية، التي تحمل معها دائما العدوان الإمبريالي والفاشية، ولا أيضا إجراء إصلاحات ديمقراطية جذرية.

من ناحية أخرى، كانوا يراهنون على إضعاف الاتحاد السوفيتي، وقد حسبوا أن الاتحاد السوفيتي سوف ينزف جميع دمائه وأنه في نهاية حرب مرهقة، سيخسر لفترة طويلة دوره كقوة عظيمة وقوية. وأنه بعد الحرب، سيقع تحت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى.

من الطبيعي أن الاتحاد السوفيتي لا يستطيع أن يعتبر مثل هذا الموقف عاديا تجاه حليف.

إن السياسة التي مارسها الاتحاد السوفيتي في العلاقات مع الحلفاء هي على النقيض من هذه السياسة. ما يميزها هو أنها تفي دائما بطريقة مخلصة ومتسقة بالالتزامات التي تم التعهد بها، أنها مستعدة دائما لتقديم المساعدة الأخوية لحليفها. خلال الحرب

الأخيرة، قدم الاتحاد السوفيتي أمثلة على هذا الموقف كحليف حقيقي تجاه الدول الأخرى الرفيقة في السلاح في النضال ضد العدو المشترك.
إليك أحد هذه الأمثلة:
يعلم الجميع أنه في نهاية ديسمبر 1944، شنت قوات هتلر هجوما على الجبهة "الغربية" في منطقة أردينArdennes ، واخترقت الجبهة ووضعت القوات الأنجلو أمريكية في موقف صعب. وقد أكد الحلفاء أن الألمان أرادوا، بالهجوم في اتجاه ليبج، سحق الجيش الأمريكي الأول، والوصول إلىAnvers ، وعزل الجيش الأمريكي التاسع، والجيش الثاني الإنجليزي، والجيش الكندي الأول وإلحاق خسارة شبيهة بـ Dunkirk جديد بالحلفاء ومن ثمة القضاء على أي قدرة لبريطانيا العظمى لمواصلة المعركة.
وفي 6 جانفي 1945، وجه تشرشل في تلك الظروف الرسالة التالية إلى ج. ستالين:
"إن معارك مؤلمة للغاية تدور في الغرب ويمكن للقيادة العليا أن تضطر في أي وقت لاتخاذ قرارات خطيرة. أنت تعرف بنفسك من تجربتك الخاصة كم هو الأمر مقلق، عندما يتعين عليك الدفاع عن جبهة واسعة جدا، بعد أن تكون قد خسرت المبادرة مؤقتا. لدى الجنرال أيزنهاور أكبر رغبة ويشعر بالحاجة إلى معرفة الخطوط الأساسية لما تقترح القيام به، لأن هذا طبعا سيكون له تأثير على جميع القرارات المهمة سواء من جانبه أو من جانبنا. وفقا للبلاغ الذي ورد، كان مبعوثنا، المارشال في سلاح الجوTedder ، ما يزال في القاهرة حتى الليلة الماضية حيث تأخر سفره بسبب الأحوال الجوية. كانت رحلته طويلة جدا، ليس بسبب خطأك وإذا لم يصل إليك بعد، فسأكون ممتنا لو سمحت بإخباري إذا كان بإمكاننا الاعتماد على هجوم روسي كبير على جبهة فيستولا أو أو في مكان آخر قريبا منها، خلال شهر جانفي، أو أي معلومات أخرى قد ترغب في تقديمها. لن أنقل هذه المعلومات السرية للغاية إلى أي شخص باستثناء المشير بروك والجنرال أيزنهاور، وبشرط المحافظة على سريتها التامة. أنا أعتبر هذه القضية ملحة" .
في 7 جانفي 1945، وجه ج. ستالين الرد التالي إلى ونستون تشرشل:

"تلقيت رسالتك بتاريخ 6 كانون الثاني (جانفي) 1945 مساء يوم 7 جانفي 1945. وللأسف، لم يصل المارشال في سلاح الجو تيدر Tedder إلى موسكو بعد. من المهم جدا استخدام تفوقنا في المدفعية والقوات الجوية ضد الألمان. وهذا يتطلب طقسا صافيا للطيران وعدم وجود ضباب منخفض يمنع المدفعية من إطلاق نيران دقيقة. نحن نستعد للهجوم، لكن الطقس لا يناسب الآن. ومع ذلك، أخذا في الاعتبار وضع حلفائنا على الجبهة الغربية، قررت هيئة أركان قيادتنا العليا استكمال الاستعدادات بوتيرة أسرع، وشن عمليات هجومية كبيرة، بغض النظر عن الظروف الجوية، ضد الألمان على طول الجبهة الوسطى وذلك في النصف الثاني من شهر جانفي على أبعد تقدير. يمكنك أن تكون على يقين من أننا سنبذل قصارى جهدنا لمساعدة قوات الحلفاء المجيدة" .

وفي رده على ج. ستالين، كتب تشرشل في 9 جانفي:

"أنا ممتن جدا لرسالتك المؤثرة. لقد أرسلتها إلى الجنرال أيزنهاور للاطلاع عليها وحده. أتمنى أن يتوج عملك النبيل بالنجاح الكامل" !

وهكذا، حرصا على مساعدة قوات الحلفاء في الغرب في أسرع وقت ممكن، قررت القيادة العليا للقوات السوفيتية تقديم موعد الهجوم ضد الألمان على الجبهة السوفيتية الألمانية من 20 إلى 12 جانفي. وفي 12 جانفي بدأ هجوم كبير من قبل القوات السوفيتية على جبهة واسعة، من بحر البلطيق إلى الكاربات .Carpathes دخلت في العمليات 150 فرقة سوفييتية، مسلحة بكمية كبيرة من المدفعية والقوات الجوية، واخترقت الجبهة الألمانية ودفعت القوات الألمانية إلى الوراء مئات الكيلومترات.

وفي 12 جانفي على الجبهة الغربية، أوقفت القوات الألمانية، بما في ذلك الجيوش المدرعة الخامسة والسادسة التي كانت تستعد للهجوم مرة أخرى، هجومها. وفي غضون 5 إلى 6 أيام تم سحبها من الجبهة ونقلها إلى الشرق ضد القوات السوفييتية التي كانت تتقدم. وهكذا تم إحباط هجوم القوات الألمانية في الغرب.

في 17 جانفي 1945، كتب وينستون تشرشل إلى ج. ستالين:

"أنا ممتن جدا لرسالتك ويسعدني أن المارشال Flight Marshal Tedder قد ترك عندك هذا الانطباع الإيجابي.

بالنيابة عن حكومة جلالة الملك ومن كل روحي، أود أن أعرب عن امتناننا وتهانينا لكم بمناسبة الهجوم الضخم الذي بدأتم به على الجبهة الشرقية.

"أنت الآن، بلا شك، على دراية بخطط الجنرال أيزنهاور وأنت تعرف إلى أي مدى تعطل تحقيقها واضطربت بسبب هجوم روندستيدت. أنا مقتنع بأن القتال سيخاض دون انقطاع على جبهتنا بأكملها. لقد بدأت اليوم مجموعة الجيش البريطاني الحادي والعشرين، بقيادة المارشال مونتغمريMontgomery ، الهجوم في المنطقة الواقعة جنوب رورموند".

في أمره للقوات السوفيتية بتاريخ فيفري 1945، قال ج. ستالين عن هجوم القوات السوفيتية:

"في جانفي من هذا العام، وجه الجيش الأحمر ضربة قوية غير مسبوقة للعدو عبر الجبهة، من بحر البلطيق إلى الكاربات. لقد حطم على طول 1200 كيلومتر نظام الدفاع القوي الذي استغرق الألمان عدة سنوات لبنائه. دفع الجيش الأحمر، في سياق هجومه، من خلال أعماله السريعة والماهرة، العدو إلى الخلف بعيدا إلى الغرب.

"إن نجاح هجومنا الشتوي أدى قبل كل شيء إلى فشل الهجوم الشتوي الذي شنه الألمان في الغرب، والذي كان يهدف إلى الاستيلاء على بلجيكا والألزاس، وسمح لجيوش حلفائنا بالانتقال بدورهم إلى العمليات الهجومية ضد الألمان في الغرب بالتوازي مع العمليات الهجومية للجيش الأحمر في الشرق" .

هكذا تصرف ج. ستالين.

تلك هي الطريقة التي يتصرف بها الحلفاء الحقيقيون في صراع مشترك.

تلك هي الحقائق.

إن مزيفي التاريخ والمفترين يسمون مزيفين ومفترين لأنهم تحديدا لا يحترمون الحقائق. إنهم يفضلون اللجوء إلى التشويه والافتراء. لكن ليس هناك شك في أن هؤلاء السادة سيضطرون في النهاية إلى الاعتراف بهذه الحقيقة المعروفة وهي أن تشويهاتهم وافتراءاتهم تمر، لكن الحقائق باقية.

المكتب الإعلامي السوفيتي.

الهوامش

.7ج. ستالين: تقرير مقدم إلى المؤتمر الثامن عشر للحزب حول نشاط اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.

.8المرجع نفسه، ص. 593.

.9أ. هتلر، مين كامبف، ميونيخ، 1936، ص. 742.

" .10نص مقابلة بين رئيس الرايخ الفوهرر واللورد هاليفاكس، بحضور وزير خارجية الرايخ في أوبيرسالزبرغ، 19)« .1937-XI-أرشيفات وزارة الخارجية الألمانية(

.11المقصود بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا وإيطاليا

.12انظر نص المقابلة المذكورة أعلاه.

.13نفس المصدر

.14انظر نص المقابلة المذكورة أعلاه.

.15التايمز 23 فيفري 1938، ص. 8.

" .16نص الاجتماع بين الفوهرر (مستشار الرايخ) والسفير الملكي البريطاني الذي تم بحضور السيد فون ريبنتروب، وزير الخارجية للرايخ في 3 مارس 1938، في برلين. »(أرشيفات وزارة الخارجية الألمانية)

.17المرجع نفسه.

.18المرجع نفسه.

.19المرجع نفسه.

.20إزفستيا في 18 مارس 1938.

.21ملاحظة من وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ 24 مارس 1938

" .22تقرير سياسي، لندن، 10 يوليو 1938، متابعة لتقرير رقم 2589 بتاريخ 10 يونيو من العام الحالي"، مأخوذ من أرشيف وزارة الخارجية الألمانية.

.23المرجع نفسه.

.24المرجع نفسه.

.25مراسلات بخصوص تشيكوسلوفاكيا، سبتمبر 1938، لندن5847 ctd ، ص. 8-9.

.26ج ستالين، "تقرير مقدم إلى المؤتمر الثامن عشر للحزب حول نشاط اللجنة المركزية للحزب الشيوعي (البلشفي) في الاتحاد السوفيتي« .

.27المرجع نفسه،

.28سايرز وكان، المؤامرة الكبرى، بوسطن، 1946، ص. 324-325.

.29ازفستيا، 20 مارس 1939.

30. Archiv für Aussenpolitik und Länderkunde، September 1938، S. 483.

[31] تقرير ديركسن "حول تطور العلاقات السياسية بين ألمانيا وإنجلترا خلال مهمتي في لندن"، الذي كتب في سبتمبر 1939.

[32]أنظر تقرير ف. مولوتوف إلى الدورة الثالثة لمجلس السوفيات الأعلى لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية. بتاريخ 31 ماي 1939، ص 8.

[33]المرجع نفسه.

[34]سايرز وكان، المؤامرة الكبرى. الحرب السرية ضد روسيا السوفيتية، ص. 329.

" [35]خطاب اللورد هاليفاكس حول السياسة الدولية"، أكسفورد. لندن، 1940، ص. 296.

[36] تقرير ديركسن، السفير الألماني في إنجلترا، بتاريخ 21 يوليو 1939، أرشيف وزارة الخارجية الألمانية.

[37]ملاحظة البعثة البريطانية بتاريخ 2 مارس 1940، الكتاب الأبيض لوزارة الخارجية السويدية، ستوكولم، 1947، ص. 120.

[38]ملاحظات من جونتر Gunter لمذكرة 2 مارس 1940. الكتاب الأبيض لوزارة الخارجية السويدية. ستوكولم، ص. 119.

[39]الذي كان عضوا في الحكومة الفرنسية.

[40]هنري دي كيريليس، ديغول ديكتاتور، ص. 363-364، Éditions Beauchemin، مونتريال، 1945.

[41]نيويورك تايمز، 24 يونيو 1941.

[42]مقابلة بولس والسيد بول) « L'entretien Pauls-Mr Bull » "وثائق أرشيفية ألمانية.(

[43]المصدر نفسه.

[44] المصدر نفسه..